ملخص البحث :

يعرض هذا البحث لشاعر مصري سار على منهج مدرسة أبولو الشعرية في الاهتمام بالتجربة الذاتية الوجدانية الخالصة ألا وهو (صالح علي علي الشرنوبي ١٩٢٤– ١٩٥١م) ، وذلك بقصد إبراز جوهر وحقيقة التجربة الشعرية في إبداعه المتميز، والذي يمثل بحق ظاهرة فنية مصرية يجب لفت الأنظار إليها، وذلك لأن تجربته وشخصيته وإبداعه إنما كان محورها الشك المنهجي بقصد الوصول لليقين الفكري لما وراء الوجود، والوصول إلى العلل الكونية والغيبيات وسبر أغوار المجهول، والتأمل الفكري المضني لأسرار الكون، على منهج المعري ، وابن الشبل البغدادي، وعلي محمود طه في (الملاح التائه) وإيليا أبو ماضي في (الجداول) ، ولذا صدق الدكتور مندور عندما عنون له بقوله (الشرنوبي شاعر الشك والحرمان) .

الكلمات المفتاحية: التجربة ، الشرنوبي، الشعر. صالح الشرنوبي .

Abstract: This research presents an Egyptian poet who followed the Apollo School of Poetry in his interest in the pure emotional subjective experience, namely (Saleh Ali Ali Al-Sharnoubi ١٩٢٤-١٩٥١ AD), with the aim of highlighting the essence and truth of the poetic experience in his distinguished creativity, which truly represents an Egyptian artistic phenomenon that must be drawn to attention, because his experience, personality and creativity were centered on methodological doubt with the aim of reaching intellectual certainty beyond existence, reaching cosmic causes and the unseen, exploring the depths of the unknown, and the arduous intellectual contemplation of the secrets of the universe, following the approach of Al-Ma’arri, Ibn Al-Shabl Al-Baghdadi, Ali Mahmoud Taha in (The Lost Sailor) and Elia Abu Madi in (The Tables). Therefore, Dr. Mandour was right when he titled it (Al-Sharnoubi, the Poet of Doubt and Deprivation).

Keywords: experience, Al-Sharnoubi, poetry - Saleh Al-Sharnoubi.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين، سيدنا محمد، خير خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه، وعمل بسنته إلى يوم الدين ... وبعدُ ...

يعرض هذا البحث لشاعر مصري سار على منهج مدرسة أبولو الشعرية في الاهتمام بالتجربة الذاتية الوجدانية الخالصة ألا وهو (صالح علي علي الشرنوبي ١٩٢٤- ١٩٥١م) ، وذلك بقصد إبراز جوهر وحقيقة التجربة الشعرية في إبداعه المتميز، والذي يمثل بحق ظاهرة فنية مصرية يجب لفت الأنظار إليها، وذلك لأن تجربته وشخصيته وإبداعه إنما كان محورها الشك المنهجي بقصد الوصول لليقين الفكري لما وراء الوجود، والوصول إلى العلل الكونية والغيبيات وسبر أغوار المجهول، والتأمل الفكري المضني لأسرار الكون، على منهج المعري ، وابن الشبل البغدادي، وعلي محمود طه في (الملاح التائه) وإيليا أبو ماضي في (الجداول) ، ولذا صدق الدكتور مندور عندما عنون له بقوله (الشرنوبي شاعر الشك والحرمان) [١].

ولذا فالشاعر يعترف لنا بأن تجربته الشعرية على طول الديوان سيكون محورها التأمل وإعمال الفكر ومواصلة الشك وصولًا لليقين يقول :

أريد أن أقف على حقائق الأشياء .

أريد أن أفهم أسرار الكون إذا كان في الكون أسرار .

أريد أن أعرف الله بعقلي، وإلا فلماذا أنعم علي به .

أريد أن أنقب وراء المجهول وخلف الغيْب [٢].

وبلغ من تجربته في الشك المنهجي المضني والشره العقلي التأملي القاتل تمنى الموت كثيرًا في

---

(١) الشعر المصري بعد شوقي ، الحلقة الثالثة ، د/ محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة ، القاهرة، ص٣٥ .

(٢) صالح الشرنوبي ، النهر الذي أسكر العالم، محمد محمد الشهاوي، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط الأولى ، ٢٠١٦م ، ص٦١٩.

شعره ؛ خلاصًا من هذا الشك والحيرة الوجودية يقول :

سـئمت ذاتـي وظلـي ، وصـوتي والغرامـا
وصـار أقصـى أمـانيَّ أن أذوق الحمامـا
وبـات عيشـي علـى الأرض محنـة وغُرامـا
والشعر .. والفكر.. والفن.. والهوى.. والهيامـا
وأن أرى لحياتـي نهايـة وختامـا[١]

ويرجع الفضل في إقامة هذه الدراسة المتواضعة إلى التوصية المستحقة الذي أشار إليها الشاعر والناقد د/ علاء جانب في قوله :

" ويوصي الباحث بإعادة النظر إلى ديوان صالح الشرنوبي في رسالة دكتوراه ، لأن تجربة الشرنوبي تحتاج إلى تجلية بقراءة نتاجه في ضوء الدرس الاجتماعي والنفسي والتاريخي"، فالشاعر " يمتلئ شعره بمسألة الجبر والاختيار، والتساؤل عن سر شقاء الإنسانية في الأرض بعد نزوله من الجنة ، ... ولذا فنحن في رحاب شاعر واسع الثقافة ، غني التجربة ، كثير المشاهد، عظيم الابتلاء "[٢] .

ولذا وبعد قراءة ديوان الشاعر ثلاث مرات على التوالي ، كان عنوان البحث : (**التجربة الشعرية عند صالح الشرنوبي دراسة تحليلية**) .

وإن كانت دراسة موجزة متعجلة ، إلا أن الشاعر حقًا يحتاج لدراسة موسعة أكثر تحليًا في رسالة أكاديمية كما أشار الأستاذ الدكتور علاء جانب .

<u>- الدراسات السابقة .</u>

١- المقدمة النقدية لديوان الشاعر صالح الشرنوبي وهي أهم دراسة أفاد منها الباحث للدكتور عبدالحي دياب جامع ديوانه .

---

(١) ديوان صالح الشرنوبي ، تح د/ عبدالحي دياب، دار الكاتب العربي، القاهرة . بدون ، ص٤٦٣.

(٢) قصيدة المواكب ، لصالح الشرنوبي، قراءة في التوقير والثبات ٢٤٣٨ . أ.د/ علاء جانب ، مجلة قطاع كليات اللغة العربية والشعب المناظرة لها العدد (١٣) .

٢- الشرنوبي شاعر الشك والحرمان . للدكتور مندور [١].

٣- قصيدة المواكب لصالح الشرنوبي في التوتر والثبات د/ علاء جانب المذكورة سابقًا .

٤- صالح الشرنوبي ، النهر الذي أسكر العالم، محمد محمد الشهاوي ، وقد استدرك المخطوطات الشعرية للشاعر في هذا الكتاب، مما يمثل إضافة للديوان الذي جمعه د/ عبدالحي دياب .

منهج البحث هذا وقد اقتضت طبيعة البحث وبحسب شعر (صالح الشرنوبي) أن يكون المنهج المتبع هو المنهج التحليلي الوصفي، والمنهج الاستقرائي المتأني لما وراء النصوص وسبر أغوارها ، لأن شعر الرجل من الشعر التأملي الفلسفي الذي يتطلب من المتلقي إعادة القراءة، والتأني في فهم النصوص ربطًا بعنوان القصائد وشخصية الشاعر وتوجهه الفلسفي المتميز .

وقد جاء هيكلة البحث التنظيمية والتي توضع فكرة البحث من خلال : المقدمة ، والتمهيد ، وخاتمة ، وفهرس المراجع ، وفهرس الموضوعات .

وقد جاءت المقدمة موجزة بينت فيها فكرة البحث ، ولماذا التجربة بالذات عند الشاعر، والمنهج الذي سرت عليه ، والدراسات السابقة عند صالح الشرنوبي .

ثم جاء التمهيد وقد عرضت فيه ، ومهدت لبحثي من خلال مدخل موجز يوضح ويؤكد فكرة البحث ، ثم جاء المبحث الأول بعنوان (الشاعر والتجربة) :

وقد اشتمل على عدة مطالب :

المطلب الأول : حول الشاعر (صالح الشرنوبي) تعريف موجز .

المطلب الثاني : ماهية التجربة الشعرية .

المطلب الثالث : روافد التجربة الشعرية عند صالح الشرنوبي .

أولاً : المكون الاجتماعي .

ثانيًا : المكون النفسي .

المطلب الرابع : أنماط التجربة الشعرية عند صالح الشرنوبي .

المبحث الثاني : تجربة الشك الميتافيزيقي عند صالح الشرنوبي .

([١]) الشعر المصري بعد شوقي (م. سابق) ص ٣٥ .

مدخل :

المطلب الأول : تجربة الحيرة الوجودية بين الشك واليقين .

– الظاهرة قوة وضعفًا في ديوان صالح الشرنوبي .

المطلب الثاني : تجربة الشك الميتافيزيقي الرمزي أو الغزل الرمزي .

– ظاهرة الغموض في تجربة الرمز بالمرأة في الشعر الميتافيزيقي .

– تفسير الغموض في تجربة الرمز بالمرأة .

– آليات كشف الغموض في التجربة الرمزية بالمرأة .

المطلب الثالث : تجربة النزعة الإنسانية والإسقاط النفسي للفكر الميتافيزيقي .

المطلب الرابع : تجربة الشكوى والألم من سطوة الفكر العقلاني الميتافيزيقي على ذهنه .

المطلب الخامس : آراء النقاد وتأكيد التوجه الميتافيزيقي عند صالح الشرنوبي .

ثم أعقبت ذلك بالخاتمة متضمنة لأهم النتائج التي توصل إليها الباحث في هذا البحث ، ثم فهرسًا للمصادر والمراجع التي استقى منها البحث مادته البحثية ، ثم فهرسًا للموضوعات .

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة ٤]

والله أسأل العون والتوفيق

الباحث

(تمهيـد)

إن المتلقي للتجربة الشعرية عند صالح الشرنوبي بتدبر وروية لتأخذه حقا (لذة الطرب) [١] ويستشعر عمق الصدق الفني ، وعبقرية الأداء النفسي وشعر الشخصية، والنزعة الذاتية التي عكست ببوحها الوجداني سيرتها وحياتها في الكتابة الشعرية ، بل كانت التجربة الشعرية لديه حالة تطهير نفسي ، وتطبيب مما تعانيه هذه الذات الشاعرة من ألم ، وحزن ، وصراع ، وقلق وحيرة، وشك منهجي تجاه الغيبيات . وأسرار الكون.

فالقارئ المُستبصر لشعر الشرنوبي يجده يتحقق فيه رؤية ابن رشيق في تعريفه لعلم الشعر بقوله " وإنما الشعر ما أطرب، وهز النفوس ، وحرَّك الطباع " [٢].

والجدير بالملاحظة عند قراءة هذا الديوان الذي ترجم سيرة صاحبه شعرًا ؛ أن المتلقي المُصابر عند تقليبه لصفحاته ليجد نفسه رغمًا عنه مشدودًا من أعماقه إلى الانبهار، والدهشة، والإعجاب ومراجعة النظر إليه ، وفيه، كرة بعد كرة ، بل وتكرار بعد أبياته وأشعاره وعباراته وهذا ما حدث مع الباحث حتى إنه قرأ الديوان ثلاث مرات بحب ، وإقبال ، ونهم ، وإجلال للشِّعر وصاحبه .

والسؤال النقدي الأهم الذي يطرحه (المتلقي) باعتباره شريكًا في الكتابة الإبداعية هو ما السر وراء لذة الطرب، وهذا الإعجاب والانبهار بشعر صالح الشرنوبي ؟ وهل التجربة الشعرية عنده – رغم أنه لم يعش طويلًا ، بل مات شابًا في عمر الزهور– تستحق الوقوف أمامها وإفرادها ببحث يعرض على كبار الأساتذة وخلاصة أهل الأرض بعلمهم وفكرهم ؟

وللإجابة من أقرب الطرق يدعي الباحث بعد قراءة الديوان ثلاث مرات بحب وإعجاب بالشاعر وشعره. أن نعم . فالتجربة لديه جديرة بالبحث والدارسة والتحليل لأنها تجربة ثرية ، وفريدة من نوعها في النصف الأول من القرن العشرين ، قرن الحروب والاستعمار ، والإقطاع ، والرأسمالية، وقرن مدرسة أبولّو ،

---

(١) ويقصد بلذة الطرب ، الانفعال الإيجابي ، والتشوق ، والاسترسال في تلقي نص بعينه بسبب المعاني والأفكار، أو الألفاظ ، أو الموسيقى الداخلية والخارجية أو طريقة الإلقاء من المبدع .. الخ ؛ للتفصيل حول مفهوم لذة (الطرب) :

مكونات الإبداع في الشعر العربي القديم (ابن طباطبا نموذجًا) د/ رانية محمد شريف العرضاوي، عالم

(٢) العمدة في محاسن الشعر ، وآدابه، ونقده ، تح الأستاذ / محمد محي الدين عبدالحميد ، ط الخامسة، دار الجيل ١٤٠١هـ- ١٩٨١م ، ج١، ١٢٨ .

والرُّقي الثقافي، والفكري في جميع الميادين، وذلك يتضح في حينه .

هذا وقد ثبت في خلد الباحث قيمة التوصية السابقة للشاعر والناقد د/ علاء جانب إذ إنها وهي توصية في بابها ، ولمحة عبقرية تحسب لصاحبها ، إذ أوعز إلى أهمية دراسة التجربة الشعرية عند صالح الشرنوبي من خلال الربط بين المكون النفسي للشاعر ، وتأثره بالسياج أو الإطار الكلي الذي عاش فيه (أعني النصف الأول من القرن العشرين) ، مما قوَّى عزيمة البحث إلى اختيار هذا العنوان : " **التجربة الشعرية في شعر صالح الشرنوبي – دراسة تحليلية** " بعد أن كان مقصد الباحث ونيته تتجه لعنوان: "**النزعة التأملية في شعر صالح الشرنوبي قراءة وتحليل**) فاخترت الأول وعدلت عن الثاني لما فيه من عمق الفائدة البحثية ، وعمق التناول ، وتوسعة لمدارك الباحث بتنوع مجالات الاطلاع والبحث– فكم في الزوايا من خبايا.

وأما السر وراء " لذة الطرب " الكامن في شعره الميتافيزيقي، ونشوة التلقي ، والإعجاب بالشاعر وشعره ، فهي قضية نقدية وقف الباحث أمامها يتأملها من خلال ملاحظاته الذاتية ، أو ما حصره من آراء النقاد حول الشاعر وشعره ، وسوف يتعرض لها البحث بالعرض المكثف والموجز في نهاية البحث، وبعد رصده لمحاور التجربة الشعرية عند صالح الشرنوبي شاعر الفكر والوجدان ، والصدق الفني ، وشاعر التجربة الصوفية ، والمغترب الهارب، والنزعة الإنسانية الإسقاطية ، والذي كان يرى العالم برؤية حكيم، وفيلسوف مثالي يريد إصلاح العالم ، والانتقال به من الشك المنهجي لليقين العقلي، والخلاص من معاناة الأفكار السوداء التي لاحقته أينما كان ، وذكريات الماضي، وأثر النشأة الاجتماعية التي جعلت منه شخصية متوترة، مغتربة ، حالمة مترددة تعيش في جو من " الشك والحرمان الدائم "[١] كما يقول د/ محمد مندور في دراسته لديوانه الأخير .

* * *

(١) الشعر المصري بعد شوقي، الحلقة الثالثة ، روافد أبولّو، د/ محمد مندور ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة ، ص/ ٣٥ .

المبحث الأول

حـول الشاعر والتجربـة

المطلب الأول: حول الشاعر (صالح الشرنوبـي)

تعريف موجز :

هو صالح بن علي الشرنوبي ، ولد في ٢٦ مايو سنة ١٩٢٤، وتوفى في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٥١م تربى ونشأ في بلطيم بمحافظة كفر الشيخ، في بيت متسع يطل على بحيرة البرلس، من أسرة ثرية عُرفت بالتجارة في الأسماك ومراكب الصيد وغيره ...

عُرفت الأسرة بتدينها الشديد وبمذهبها الصوفي، تعرض منذ صغره لقسوة والده عليه . إذ كان يريده من رجالات الأزهر ومشاهير الصوفية من بعده ، وتعرض كذلك للقسوة والضرب المبرح الدائم من شيخه الذي حفظه القرآن المعروف بالشيخ (علي أبو دعلة) ، في المقابل كانت أمه تدلله وتخاف عليه للغاية حتى أنها كانت تضع في أذنيه قرطًا ، وتطيل شعره مما أوقعه فيما بعد في صراع (إقدام الأحجام) ، والتناقض بسبب قوة أبيه ، وشيخه ، وتدليل أمه ، فكان ضعيف الإرادة ، عُرف بالإبداع الشعري والنبوغ فيه منذ صغر سنه (المرحلة الابتدائية) وكان دائم الشرود والفكر والوحدة والعزلة والجلوس أمام المقابر، وكذا الجلوس المنفرد أمام مياه البحر المتوسط من جهة بحيرة البرلس، وبحيرة تيرة التي تمتعت بها بلطيم في زمن الشاعر .

تعددت ثقافته سواء من الأدب العربي القديم بسبب مكتبة والده ، وما كان يقتنيه من كتب ، وتعلق " الشاعر " بالمعري، والرضي، وابن الرومي، ومهيار الديلمي، وصُر دُر، وعبد الرحمن شكري، وإيليا أبو ماضي، والرافعي خاصة في كتابه (رسائل الأحزان) ، أو من الثقافة الغربية وخاصة الأعمال الفلسفية الفكرية ، لـ (نيتشه) ومذهبه في الشك والاتجاه الميتافيزيقي فتأثر به للغاية في تجربة الشك المنهجي وغيره من الفكر الغربي الوافد ...

تعرض شاعرنا لمرات عديدة من الفشل الاجتماعي في حياته والتي تركت أثرًا واضحًا في شعره وإحساسه بالألم، والحزن، والإحباط منها مثلاً لا حصرًا :

* فشله في الالتحاق بدار العلوم وفي كلية أصول الدين والشريعة الإسلامية .
* فشله في الزواج من ابنة عمه التي كان يتشوق للزواج منها للغاية .
* فشله في تحقيق مكانة في عالم الشعر والشعراء .
* فشله في معاركة الحياة ومواجهة صعابها بوجه جامد . وبتحدٍ ؛ لأنه كان يعتقد أن الشاعر إنما خلق للتكريم، ولأن يُحْتَفَي به ولذا عاش حالمًا، مثاليًا ، متشائمًا ، منعزلاً، شعره كله يدور حول التجربة الذاتية وإحباطات الذات [١].

---

(١) بإيجاز مقدمة ديوانه ، تحقيق د/ عبدالحي دياب، ومراجعة . د/ أحمد كمال زكي ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، بدون من ص /٧ إلى ص/ ٦٩.

المطلب الثاني
ماهية التجربة الشعرية

اهتم النقد الحديث بالتجربة الشعرية اهتمامًا بالغًا ، لأن التجربة في عمومها أهم مقياس في نجاح العمل الشعري من عدمه، فالتجربة بالنسبة للشاعر فيما أعتقد هي الفيصل ليستحق لقب شاعر ... لأنه يضغط على نفسه وعقله حتى يستخرج منها الأحاديث والأفكار الحبيسة ، حتى تنبض تجربته بالحياة ... ولابد له من معاناة مع والمعاني واللغة والإيقاع... وكل ذلك يمثل عبء ثقيل على المبدع لابد له أن يتخلص منه، ولن يستطيع إلا إذا أتم صياغة قصيدته صياغة جميلة، وبذا تصبح القصيدة قطعة من حياة الشاعر النفسية والعقلية وقد تركزت فيها وتجمعت طاقته الشعورية والذهنية [١].

ولذا يقول د/ غنيمي هلال : " والتجربة الشعرية إفضاء بذات النفس ، بالحقيقة كما هي في خواطر الشاعر وتفكيره ، في إخلاص يشبه إخلاص الصوفي في عقيدته " [٢] ولذا كانت التجربة الشعرية هي التجربة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيرًا ينم عن عميق شعوره وإحساسه، وفيها يجمع الشاعر إلى الاقتناع الذاتي الإخلاص الفني [٣].

هذا وإن كان الشرنوبي من شعراء أبولّو [٤] فنجد أن (السحرتي) ناقد مدرسة أبولّو يولي التجربة الشعرية عند شعراء هذه المدرسة عناية خاصة بالصدق في التجربة الشعرية ، حيث يقول : "وأول مقياس لتُعرف درجة القصيدة .... أو بمعنًا آخر معرفة التوفيق الذي بلغه الشاعر في التعبير عن تجربته تعبيرًا حيًا صادقًا قويًا وهي أسس الحكم على الصنيع الفني بما تحويه من انفعالات وعواطف وما ترمي إليه من هدف"[٥].

---

(١) في النقد الأدبي ، د/ شوقي ضيف ، ط دار المعارف ، ط التاسعة ، ص/ ١٤٤ ، وما بعدها بتصرف .

(٢) النقد الأدبي الحديث، د/ محمد غنيمي هلال ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط الرابعة ، سنة ١٩٦٩م ، ص/ ٣٨٥ .

(٣) السابق نفسه ، ص/ ٣٨٤ .

(٤) لم ينشر الشرنوبي شعره في مجلة أبولّو ، ولكنه يُعد من شعراء هذه المدرسة إذ تأثر بفكرهم ونقدهم وتوجههم الذاتي والرومانسي في الإبداع الشعري. وقد نشر بعض شعره في مجلة الرسالة للزيات.
للتفصيل : مع الشعراء المعاصرين ، د/ متولي محمد البساطي، ط الأولى سنة ١٩٩١م ص/٥٤، ومدرسة أبولّو الشعرية في ضوء النقد الحديث ، د/ محمد سعد فشوان ، دار المعارف ، بدون ص/ ٩٢ .

(٥) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، مطبوعات مكتبة تهامة،

ولعله من الملاحظ تركيز (السحرتي في نقده للتجربة) على عامل الصدق الفني والنفسي، وهو عنصر بارز في الشعر الذاتي عند مدرسة أبولّو جميعًا، وعند شاعرنا (صالح الشرنوبي) بصفة خاصة كما سيتضح من المعالجة والبحث .

ويُعرِّف السحرتي التجربة الشعرية بقوله :

" والتجربة الشعرية هي الحالة التي تلامس الشاعر، وتوجه ذهنه أو بصيرته إلى موضوع من الموضوعات ، أو واقعه من واقعات الدنيا ، أو مرأى من مرائي الوجود ، وتؤثر فيه تأثيرًا قويًّا تدفعه في وعي أو غير وعي للإعراب عما يرى أو يشهد أو يتأمل"(١).

وإذا تأملنا هذا التعريف بروية وأمعنا النظر في حديث د/ شوقي ضيف عن التجربة الشعرية، نجد له عبارة كأنها قصدت شرح هذا التعريف السابق(للسحرتي).

يقول د/ شوقي ضيف : " فليس في الحياة شيء يستعصي على التجربة الشعرية، حتى أتفه الأشياء يستطيع الشاعر أن يصعد به إلى تجربة تفيض بتأملاته وأفكاره وخيالاته، فالمهم أن ينطلق عقله ، وأن تفتح إزاءه مغاليق نفسه ، فإذا نحن إزاء حدث وجداني عقلي لا يعنينا ما يحمله من موضوع ، إنما يعنينا ما يجمله من معانٍ وأحاسيس، وإشعاعات نفسية وعقلية تضيء على أجزاء القصيدة من بدايتها إلى نهايتها "(٢).

ولعل قراءة شعر (صالح الشرنوبي) تدلف بنا إلى تحقيق ما ذكره النقاد في التجربة الشعرية المتميزة من مثل :

- الصدق الفني والنفسي .
- البوح الوجداني عن مكنون نفسه .
- اجتماع الفكر الميتافيزيقي العقلاني مع الوجدان النفسي والعاطفة المنطلقة .

اختلاف صور التجربة باختلاف نفسية (صالح الشرنوبي) كما سيتضح ما بين (التجربة الخالصة) أو (التجربة المصطنعة) .

فنجده ينتقل ما بين تجربة فلسفية ، وثانية صوفية ، وثالثة مجونية ، ورابعة إنسانية ، وأخرى وطنية ، وكلها تتطلي بوشاح الحزن والقلق النفسي ، والاغتراب الروحي الذي هو مفتاح شخصية صالح الشرنوبي .

جدة ، المملكة العربية السعودية، ط ٢، سنة ١٤٠٤هـ سنة ١٩٨٤م ، ص/٢٩ .

(١)الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، ص/ ٢٩ .

(٢) في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف (٨- سابق) ص/ ١٤٤ .

المطلب الثالث

روافد التجربة الشعرية عند صالح الشرنوبي .

أولاً : المكون الاجتماعي : ذكر البحث سابقًا إشارة د/ علاء جانب لأهمية دراسة التجربة الشعرية عند (صالح الشرنوبي) ، وذلك " من خلال قراءة نتاجه في ضوء الدرس الاجتماعي والنفسي والسياسي والتاريخي "[١].

ويكأني بهذه اللمحة النقدية العميقة تؤكد على أهمية قراءة المنجز الإبداعي لصالح الشرنوبي بالجمع بين (المكون النفسي) الذاتي بكل مدلولاته، و(المكون الاجتماعي) الخارجي بكل حيثياته ، فمع أن شعر صالح هو شعر التجربة الذاتية الحزينة والحائرة سواء في شعره (الغيري أو الموضوعي) لكنه كان يتناوله من وجهة نظر خاصة به ، وبفهمه لمدلول الشعر ورسالته، ففي الرثاء ينسى المرثي ويحدثنا عن الفناء والعدم ، وفي النزعة الإنسانية في نظرته (للضعفاء والمساكين) يحدثنا في طرف خفي عن العدالة المفقودة ، والسر الغيبي في هذا التفاوت، ... الخ بما سيتضح .

ومع أن نتاجه ذاتيًا خالصًا على المنهج الرومانسي الشاكي الحزين المتألم إلا أن المكون الاجتماعي كان له الأثر البيِّن في التجربة الشعرية عند (صالح الشرنوبي) فمن المسلمات في النقد الأدبي الحديث قيمة التواصل بين الفنان والمجتمع إذ الأدب في حقيقة الأمر هو عملية اجتماعية تعني التعبير عن الذات ، وإيصال الأفكار للمتلقي... بسبب الصراع وعدم المواءمة بين إرادة الشاعر ورغباته وبين المجتمع الذي يحول دون هذه الرغبات ... مما يحدو بنا إلى التأكيد على أن الشاعر الحق مهما كانت ذاتيته يأخذ دور المفسر لقضايا المجتمع ، ويصبح جزءًا من الوجدان الثوري والعاطفي لمجتمعه على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي مما يؤكد اجتماعية النموذج الذاتي مهما كان الشاعر ذاتيًا ووجدانيًا يُغني لنفسه، وآماله ، وآلامه وأفكاره على تنوعها واختلافها .

نعم هكذا كان صالح الشرنوبي شاعرًا ذاتيًا وجدانيًا ينقل إلينا من طرف خفي صورة مجتمع مضطرب سياسيًا ، يتحكم فيه الاحتلال الانجليزي ، والمستعمر الغاشم، والاقطاع الطبقي ، والأحزاب المتناحرة ، والفقر الطاحن ، وفي نفس الوقت الثقافة المتنوعة عربية وغربية الأمر الذي سيضخم ظاهرة الاغتراب الثقافي والفكري في القرن العشرين بصفة عامة ، وعلى وجدان

([١]) قصيدة المواكب لصالح الشرنوبي قراءة " التوتر والثبات " (م. سابق) ، ص/ ٢٤٣٨ .

شاعرنا (صالح الشرنوبي) بصفة خاصة، فقد كان رهينا لنفسه الضعيفة الحالمة التي عاشت في ظلال الشعر والشاعرية، رهينًا لفكره المضني ، ولذكرياته الأليمة ، يعيش في جسم رجل ولكنه يحمل قلب طفل ، وعقل فيلسوف ، وعاطفة شاعر، فتضخم الصراع والاغتراب، وانعدم تكيفه مع مجتمعه الذي نقله لنا في صورة المتمرد السلبي الهارب من أوضاع عصره " فإذا كان إبراهيم ناجي معاصره هرب إلى التغزل بالمرأة والهيام في محرابها ، ونقل على محمود طه اغترابه في الملامح التائه فإن صالح الشرنوبي فرَّ إلى (التمرد الميتافيزيقي) [١] والبحث عن الغيبيات والمجهول .

وذلك كله كان نتيجة طبيعية انعكست في الشعر آنذاك لأن القرن العشرين قرن (صالح الشرنوبي) ونتاجه الشعري خاصة النصف الأول منه هو " شعر الهزائم " وهو شعر متمرد على كل حال بسبب الهزائم الطاحنة منذ مطلع القرن ... ففي محتوي هذا الشعر يمكن حسن الشاعر الرافض المتأمل ... " [٢].

وبذا يؤكد البحث أن المعاناة الحزينة في تجربة صالح الشرنوبي تأثرت تأثرًا واضحًا- لاشك فيه- بالمكون النفسي، وبالمكون الاجتماعي على حد سواء لواقع العصر.

ثانيًا : المكون النفسي :

ويقصد بالمكون النفسي هنا المواقف الحياتية المختلفة- وقد ذكرها البحث سابقًا- التي أثرت في نفسية صالح ووجهت شعره وجهة خاصة ، وجعلته يسلك سلوكًا فنيًا ، وبذلك تتكشف مزايا الشخصية وتتضح معالمها الخصبة ، وبالتالي مَدَىَ انعكاس ذلك في النص كوعاء لهذه النفس ورغباتها ؛ ويظهر ويتقوى في شعر صالح ذلك من خلال الآتي :

العاطفة وأثرها في تجربة الإحباط عند صالح الشعرية .

" إذا كانت لغة الشعر هي لغة العاطفة " [٣] فإن ذلك أوضح ما يكون في الشعر الذاتي الإنساني الذي يحمل رسالة كاشفة عن وجدان منفعل بتجربة صادقة تنعكس في الأسلوب الشعري، ويستشعرها المتلقي فيطرب بهذه التجربة ويتعلق بالنص من داخله، وعلى ذلك يمكن

---

(١) دراسات في الشعر د/ محمد أحمد العزب ، طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، بدون . ص/ ٦١ .

(٢) السابق ، ص/٦٠ وانظر النقد الأدبي الحديث ، د/ محمد غنيمي هلال ، ص/ ٣٧٧ وما بعدها .

(٣) في النقد الأدبي الحديث ، د/ محمد غنيمي هلال ، ص/ ٣٧٨ .

القول أن التجربة الشعرية عمادها (العاطفة) لأن الشاعر بنص د/ غنيمي هلال في " التجربة الناجحة يجمع بين الاقتناع الذاتي ، والإخلاص الفني، وعمق الشعور والفكر "[١].

والسؤال المطروح هنا :

ما هي عاطفة صالح الشرنوبي التي انطلق منها في إبداعه على طول الديوان ؟ وهل هي عاطفة الطبع أم التكلف ؟ وما الطبيعة الإنسانية التي تحكمت في هذه العاطفة ؟

– لقد اتضح للباحث أن شعر (صالح الشرنوبي) كله شعر مواقف وأن الإبداع فيه كان على البديهة والارتجال ، يعني أن شعره هو شعر الطبع وليس التكلف ، بل كانت قصائده من الطول بمكان مثل (ابن الرومي) مما يدل على قريحة صافية ، ونفسية جياشة ومسترسلة في الإبداع الشعري .

– وأما الطبيعة الإنسانية أو الفنية التي شكلت عاطفة (صالح الشرنوبي) وكانت ظاهرة في قراءة نصوصه، فهي عاطفة (الإحباط) والحزن الدائم، والقلق الوجودي؛ الأمر الذي جعل أدواته الفنية تصطبغ بهذه الصبغة الحزينة المحبطة فكان شعره حزيناً محبطًا من حيث الموقف والأداة أو من حيث الشكل والمضمون .

فإذا ما كان الإحباط هو " الحيلولة بين الفرد وبين بلوغ هدف معين، وهو أيضًا الحالة الانفعالية التي يشعر بها الفرد إذا واجه بين ما يحول بينه وبين إشباع دوافعه"[٢].

وهذه العوامل التي تحول بين الفرد وحاجته، داخلية وخارجية ، فالداخلية ترجع إلى الفرد نفسه، والخارجية ترجع إلى البيئة الخارجية للإنسان .

وبالنسبة لصالح الشرنوبي نجد أنه ثمة عوامل مجتمعة سواء داخلية أو خارجية شكلت هذا الإحباط الذي ظل ملازمًا له حتى وفاته في وقت من أوقاته وذهوله تحت عجلات القطار ، وقد ألمح البحث إلى هذه العوامل فيما سبق مما وستزيد وضوحًا على طول المعالجة والبحث بإذن الله .

* * *

---

(١) السابق ، ص/ ٣٨٤ .

(٢) محاضرات في الصحة النفسية ، د/ محمد عبد الظاهر الطيب ، وآخرين ، جامعة طنطا ، الكتاب الجامعي ، ص/ ٨٧ نقلا عن الشعور بالإحباط في الشعر العربي المعاصر في مصر ، في النصف الثاني من القرن العشرين ، دكتوراه ، مخطوطة ، لغة عربية المنصورة د/ أبو بكر لقوشة ٢٠١١م ، ص٢ .

المطلب الرابع

أنماط التجربة الشعرية عند صالح الشرنوبي :

إذا كانت التجربة الشعرية هي " موقف شعري تفاعل معه الشاعر بكل أحاسيسه، بعد أن أثر في وجدانه وكيانه، واستغرق في فكره وخياله وعاشه بتفاصيله ووقائعه، ثم صاغه بأسلوبه المُعبر عن نفسه " [١].

فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا بعد قراءة شعر صالح قراءة متأنية .

(١) ما أنماط التجربة في شعر الشاعر ؟

(٢) هل توافر الصدق العاطفي في تجاربه كلها أو في نمط معين ؟

من أقرب الطرق بعد المعايشة الطويلة لديوان(صالح الشرنوبي) يقرر البحث أن التجربة الشعرية في ديوان شاعرنا تنقسم إلى قسمين ، الأولى التجربة الذاتية الفلسفية والثانية الشعر الغيري أو شعر المناسبات .

وهاك التفصيل :

(١) **الأولى** : التجربة النفسية الخالصة والصادقة والتي تمخضت عن معاناة فكرية، قاسى الشاعر من ويلاتها، وعاركها بعقله وروحه ، وتتمثل هذه التجربة في : أربعة أنماط.

أ- تجربة الشعر الميتافيزيقي الصريحة .

ب- تجربة الشعر الميتافيزيقي الرمزية بالمرأة .

جـ- تجربة النزعات الإنسانية التي أسقط فيها فكرة الميتافيزيقي .

د- تجربة الشكوى والألم من سطوة الفكر العقلاني الميتافيزيقي على ذهنه .

(٢) الثانية : تجربة شعر المناسبات[٢] ، ولن يتعرض لها البحث فهي لا تحمل صدق العاطفة ، والبوح الوجداني العميق كما في التجربة الذاتية الميتافيزيقية كما أنها محدودة من حيث الكم . ومن ثم لا تعبر عن جوهر التجربة- كما وكيفًا- وكنهها عند صالح الشرنوبي والتي تُعنى بأسرار الكون ، وسر الوجود .

* * *

---

(١) التجربة الشعرية في شعر بدوي الجبل ، دكتوراه . د/ رابح فروجي- الجزائر، جامعة فرحات عباس سنة ٢٠١٢، منشورة على الانترنت ، ص/٧ .

(٢) للتفصيل حول هذه التجارب من شعر المناسبات . ينظر ديوانه في الصفحات الآتية ص ١٢، ٢٩٦، ٢٧٠، ٢٧٤، ٣٢٢، ٤٢١ ، ٤٣١، ٤٣٣، ٥٠٢ .

المبحث الثاني
تجربة الشك الميتافيزيقي عند صالح الشرنوبي

" **مدخل** " : وفي هذه التجارب تتجلى عاطفة الإحباط المتمكنة في نفس صالح الشرنوبي وروحه ووجدانه، ويظهر فيها انفعاله العميق الصادق، وينقل إلينا من خلالها اقتناع ذاتي وإخلاص فني للإبداع الشعري منقطع النظير، لأنه ينقل حقًا للمتلقي صورة عقله وصورة نفسه وينكشف فيها حقيقة الفكر التأملي والعقلاني الفلسفي بأسلوب إبداعي متميز يمتح من قضية لازمت فكرة طوال حياته ، وهذه التجارب عند صالح هي التجارب التي تستحق القراءة والإشادة بها على في مجال الأدب المقارن في الشعر الفلسفي عند الغربيين خاصة الشعر الإنجليزي .

ولنحاول الآن تفصيل لهذه التجارب بعد الإجمال السابق .

أو (الشك المنهجي)

ب- **مدخل :**

تجربة الشعر الميتافيزيقي[١] الصريحة . وهي أصدق أنواع التجارب عند صالح، ولذا قدمها البحث ، والشعر الميتافيزيقي هو اتجاه تأملي فلسفي يقصد البحث العقلاني عما وراء الطبيعة من سر الموت، والروح، والبحث عن الله، وخلق الخير والشر، ومحاولة تفسير اللامحسوس، ويتجلى في هذا الشعر المفارقة، ولغة السؤال المتكرر ، والحيرة ، والقلق النفسي المستمر، بل قد يقترب فيه الشاعر من الإلحاد بسبب الشك الفكري الذي يسيطر عليه ولا يستطيع له تفسيرًا ولا تعليلًا لأنه يربط فكره بالجوهر والماهيات الأذلية المجهولة ...

يقول أستاذنا الدكتور العزب : " ويبحث الشعر الميتافيزيقي بوجه عام في الصلة بين الجسد والروح، وأوجه التعارض والصراع بينهما ... وكذلك في مشكلات الخير والشر، ومشاكل الخلق ووجود الله، والحياة والموت "[٢].

---

(١) للزيادة حول المصطلح : انظر أغنيات وسونات ، للشاعر الإنجليزي جون دن .
ترجمة : بهاء جاهين، المجلس الأعلى للثقافة سنة ٢٠٠٢م، العدد ٣٨٧، ص/٣٣ ، وسؤال الميتافيزيقيا عند جاك دريدا، دكتوراه " الجزائر ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم الفلسفة، د/ سماح حبطة سنة ٢٠١٩م ، ص ٣، وما بعدها .

(٢) دراسات في الشعر ، د/ محمد أحمد العزب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الاجتماعية ، بدون ، ص/٥٩ .

هذا وإذا كان للشعر الفلسفي اتجاهًا معترفًا به في مجال الدراسات الأدبية النقدية عند شعر مدرسة أبولّو[١] فالملاحظ عند التدقيق والمقارنة أن الشعر الميتافيزيقي عند صالح الشرنوبي يمثل ظاهرة تستحق الدراسة والتحليل في بحث أكاديمي موسع؛ وإذا كان الشعر الفلسفي عند بعض شعراء (أبولّو) يتأتى في شكل قصيدة عابرة لشاعر من شعراء هذه المدرسة ، فإنه عند شاعرنا يمثل اتجاهًا مستقلا بذاته، ويمثل تجربة صادقة تمتح من أعماق الشاعر ووجدانه الصادق، إضافة إلى أنها تمتد بوضوح على طول الديوان وفي معظم قصائد الديوان .

ويمكن القول إن الاتجاه للشعر الفلسفي لم يكن ضربة لازب ولا خبط عشواء خاصة في بدايات القرن العشرين (عصر صالح الشرنوبي) بل مارسه ا لمبدع كنوع من التمرد والهروب من واقعه المأذوم حيال الحروب، والخراب ، والدمار الذي عاشه خاصة الحرب العالمية الأولى ، والثانية ، وحيال الثورات المصرية ضد الاحتلال وثورة ١٩، وثورة ٥٢، وحيال الاختلافات الحزبية المتناحرة والمعارضات السياسية التي طوقت المجتمع آنذاك .

ولقد أصاب د/ العزب عند ما سمى هذا النوع من الشعر المعاصر بـ " شعر التمرد الميتافيزيقي " والذي " كان كرد فعل وثورة للإحباط الغليظ الذي أصاب الشاعر المعاصر"[٢] بسبب " واقع الأمة المحزون منذ مطالع هذا القرن والذي كان أحد العوامل المبررة لوجود شعر التمرد، ولذا يمكن أن نسمي ديواننا الشعري بـ (شعر الهزائم) وهو شعر متمرد على كل حال"[٣].

ولقد كان الشعر الفلسفي الميتافيزيقي– فيما أعتقد– أصدق أنواع الشعر خلال القرن العشرين لأنه ينقل صدقً اغتراب الشاعر، ويعكس آلامه واحتجاجه السلبي جرّاء الضغوط السياسية والاجتماعية، مما يتماشى مع النزوع الهروبي عند الرومانسيين ، خاصة جامعة (أبولّو) حيث كان تيار الهروبية من تيارات الشعر العربي الحديث في مصر، وقد تمثل هذا الاتجاه الهارب من المجتمع إلى أحضان الطبيعة ، أو الحب البائس الحزين، أو التأمل فيما وراء الحياة أو التصوف ...

---

(١) للتفصيل والإيضاح : كشاف مجلة أبولّو ، إعداد أمين سليمان سيدو ، طبع نادى جده الأدبي، ط الثانية سنة ١٤١٥هـ – سنة ١٩٩٥م ، ص/ ١٠٨ إلى ص/ ١٣٧ .

(٢) دراسات في الشعر (م. سابق) ص/٦٠ .

(٣) دراسات في الشعر ، د/ العزب ، ص/ ٢٠ .

وذلك كله نتيجة الصراعات والمواقف الحزبية والقضايا الوطنية والتمزقات الفكرية والوجدانية التي عاناها الإنسان المصري في داخل وطنه ... خاصة الشعراء الذين أحيطوا بأسوار الغربة المادية والروحية ومرارة الاغتراب ... (١).

واتفق هذا الاتجاه مع أهداف جماعة أبولّو تحديدًا، والتي دعت صراحة إلى " الإعراض عن الشعر السياسي، ورحبت بالشعر الوجداني الفياض بالأنين والحزن، واليأس ، وزعيم هذه المدرسة يعلن أنه متحمس للشعر الفلسفي الجديد والشعر الوجداني " الذي لا يتملق الجماهير، وليست له غاية سوى إرضاء العاطفة والوجدان"(٢) خاصة في مرحلة الثلاثينيات والأربعينيات وهي أوج نشاط شاعرنا صالح الشرنوبي إذ توفى سنة ١٩٥٢م .

يقول د/ عبد الغفار مكاوي إن الشعر الحديث يعبر عن عذابات الإنسان وضياع حريته في عالم تتحكم فيه الآلات ... وتعجه الحروب والكوارث التي لا تنقطع ... ولاشك أن هناك صلة قوية بين هذه التجارب التي يعانيها الإنسان وبين بعض خصائص الشعر الحديث، من الانطلاق إلى عالم اللاواقع ، والبعد بالخيال الجامح عمَّا هو مألوف، والشغف بالرموز والأسرار الخفية وتفعيل اللغة ... هي محاولات من جانب النفس الحديثة للمحافظة على حريتها في مواجهة عالم يتحكم فيه المال والآلة(٣).

وترتيبًا على ما سبق فالسؤال الذي يطرح نفسه علينا هنا :

ما هي التجارب الشعرية المثلى والصادقة تعبيرًا عن حقيقة القرن العشرين في مصر؟

إن البحث يؤكد أن التجارب الشعرية المثلى تصويرًا لهذا القرن هي التجارب الفلسفية الفكرية، وما ذلك إلا انسجامًا مع (طبيعة العصر الثوري) (٤) بكل ما تعنيه هذه العبارة؛ فالعصر ثوري

---

(١) حوار مع قضايا الشعر المعاصر، د/ سعد دعبيس، دار الفكر العربي، القاهرة بدون ، ص/٧٠، ٧١ بتصرف .

(٢) السابق نفسه .

(٣) شعر وفكر دراسات في الأدب والفلسفة ، د/ عبد الغفار مكاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٥م ، ص/١٦ بتصرف .

(٤) العبارة تحوير من عنوان كتاب أستاذنا الدكتور: عز الدين إسماعيل ، " الشعر في إطار العصر الثوري" والذي يترجم فيه لصورة الشعر خلال القرن العشرين في مصر وتطوره مع طبيعة الأحداث الحضارية ، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة ، المكتبة الثقافية رقم ١٦٢، ١ سبتمبر سنة ١٩٦٦ .

في حربه العالمية الأولى، والثانية ، ثوري في الأحزاب المتناحرة، ثوري في الفكر الأدبي الوافد على المجتمع خاصة الفكر الانجليزي ، والذي أثر على الشعر تأثيرًا واضحًا كما عند مدرسة الديوان وأبولّو، ثوري في التناقض بين الخرافات والأساطير المتوازنة في وجدان الشعب المصري، وبين التنوير العقلاني الوافد والذي رفع من قيمة العقل والفكر والمادة والآلة؛ الأمر الذي رفع من سقف الصراع الفكري عند المفكرين عامة ، والشعراء خاصة في هذا الوقت الذي يمثل منعطفًا تاريخيًا ، " فمحاولة التوفيق بين تراث الماضي وثقافة الحاضر... مشكلة لكل مجتمع متطور "[١].

وهنا يتدخل تاريخ الأدب ليبحث في (العلاقة بين الشعر وواقع الحياة) [٢] ويجيب النص الإبداعي نفسه عن حيرة العصر وصراعه خاصة الشعر الفلسفي التأملي عند جماعة (الديوان) ببواكيره ، وتحوله للظاهرة المتضخمة عند مدرسة أبولو، وتحوله إلى ظاهرة الحزن والإحباط عند شعراء النصف الثاني من القرن العشرين بما ينقله (صلاح عبدالصبور) في أحزانه الممتدة على طول شعره، وما ذلك إلا للاغتراب الفلسفي بين الواقع والحلم عند المفكرين من الشعراء؛ في عهد الثورات والتحولات الحضارية والمنعطفات التاريخية الكبرى ويكون الشعر هنا " نقدًا للحياة "[٣] وتمردًا ورفضًا " ويصبح التنكر للواقع البغيض أمرًا صريحًا ... ويكون الفن كله فرارًا من واقع مرزول إلى ممكن مأمول ... وهذا بغير شك هو طابع الفن في عهد الثورات"[٤] على أن أشد الظواهر وضوحًا في الفكر والأدب خلال القرن العشرين هي " فكرة البحث عن الذات واستكشاف أبعادها وتحقيق تحررها على المستويين الديني والاجتماعي"[٥] ، ولذا سادت نزعة "التمرد الميتافيزيقي على الواقع جملة "[٦]، وهنا يكون الشعر الميتافيزيقي أحد المحاور الشعرية المهمة التي يجب لفت الأنظار إليها في شعرنا المصري خلال القرن العشرين.

---

(١) وجهة نظر ، د/ نكي نجيب محمود ، ص/ ١٣، طبع مؤسسة هنداوي ، ط الأولى ٢٠١٩م .

(٢) الشعر في إطار العصر الثوري، د/ عز الدين إسماعيل ، ص/٥ ، مرجع سابق .

(٣) السابق نفسه ، ص/٦ .

(٤) مع الشعراء ، د/ نكي نجيب محفوظ ، طبع مؤسسة هنداوي ، ط الأولى ، ٢٠٢١م ، ص/ ٨٩ .

(٥) الشعر في إطار العصر الثوري– د/ عز الدين إسماعيل ، ص/ ٥١ .

(٦) السابق ، نفسه ص/ ٦٨ .

ويكون [الشعر الميتافيزيقي] نفسه ، أحد المستجدات المهمة في عالم الشعر ويكون أحد الأجوبة القوية على السؤال النقدي الذي طرحه د/ ذكي نجيب محمود عندما قال ما الذي يدعو إلى استحداث الجديد في دولة الشعر؟ إنه الإطار الثوري للمجتمع المصري آنذاك، وما نتج عنه في الاتجاه الفلسفي عامة في الشعر المصري، والشعر الميتافيزيقي خاصة ، الأمر الذي يؤكد أن ثمة هوية شعرية مستحدثة وإبداع فني جديد خرج من رحم المجتمع المصري الثائر والمضطرب خلال القرن العشرين ، تميز به الشعر المصري وقت إذ ، وهذا الإبداع هو " الشعر الميتافيزيقي التأملي " .

هذا وإذا كان " من شأن الفكر الفلسفي دائمًا أن يناصر الأدب في التعبير كما يضطرب في دخائل النفوس " [١]، فإننا نجد أن التجربة الفكرية الميتافيزيقية تأتي عند (صالح الشرنوبي) ت ١٩٥٢م في شعره ، وعند معاصره د/ مصطفى محمود ١٩٢١– ٢٠٠٩ في كتابه (من الشك إلى اليقين) والتي بدأت معه من خلال البحث عن الغيبيات وأسرار الوجود ، والخلق ، والله ، والموت من سن الثالثة عشر، وظل يبحث متأملاً منعزلاً مفكرًا ما يقرب من ثلاثين عامًا من عمره حتى وصل إلى مرحلة اليقين والإيمان القلبي بعد البحث ولغة العقل[٢].

وهنا تتحد عملية الفكر الميتافيزيقي في البحث عما وراء الطبيعة لاثنين من الذين عاشوا في القرن العشرين ، الأول شاعرنا صالح الشرنوبي ، والثاني معاصره د/مصطفى محمود ، بيد أن تجربة (صالح الشرنوبي) جاءت في الإبداع الشعري، وتجربة د/ (مصطفى محمود) جاء نثرًا فنيًا بأسلوبه السهل الممتع في القص بما نجده في كتابه السابق وكذا كتابه (حوار مع صديقي الملحد) [٣].

وبالجملة فتجربة الشعر الميتافيزيقي عند صالح كانت تتأتى ضمن الإطار الفكري الثائر والمضطرب الذي عاشه المثقف المصري المتأمل خلال القرن العشرين ، وكان انعكاسا طبيعيًا لما اعترى المجتمع

---

(١) مع الشعراء ، د/ ذكي نجيب محمود ، ص/ ٦٦ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في مقدمة كتاب " رحلتي من الشك إلى اليقين ، د/ مصطفى محمود ، ط دار المعارف ، مصر– بدون . ص/٥ وما بعدها .

(٣) وهو ترجمة أمنية للشكوك الفكرية الوجودية عند الرجل تخيل فيها صديقًا يحاوره عن طريق التخيل لصديق يحاوره ، لأن الحوار يمكنه من الرأي والرأي الآخر، وعرض الاختلافات والشطحات التي مرت بالرجل في مرحلة الشك للوصول لليقين والإيمان .

المصري من حالة توتر وصراع بين الحربين العالميتين الأولى والثانية بصفة خاصة ، وجرَّاء الاضطراب في الإطار الحضاري سواء من الفكرية أو الاجتماعية ، أو السياسية آنذاك [١].

هذا ولم يكن صالح الشرنوبي وحيد عصره في التوجه للفكر الميتافيزيقي؛ بل إن القراءة الواعية للنتاج الفكري للمؤلفات الأدبية وغيرها ، تؤكد على الجنوح للفكر الفلسفي التأملي بما يمكن للباحث أن يؤكده من خلال جنوح الفن للفلسفة في ذلك القرن العشرين منذ بدايته خاصة مع تناول الأعلام والأدباء في العشر سنين الأول من القرن العشرين لقضية الحرية ومدلولها ومناقشتها حيث شهدت بدايات هذا القرن في مصر طائفة من أعلام الأدب والفكر تصوغ للناس قضية الحرية ، مثل الإمام محمد عبده، وطه حسين، وقاسم أمين، وأحمد لطفي السيد، الأمر الذي سيمهد الطريق لثورة سنة ١٩١٩م .

لقد تميزت فترة ما بين الحربين في الناحية الفكرية والتأليفية عند المصريين بكثير من القلق الفكري الناتج عن إحساسهم بأهمية الجمع بين الثقافة الأوروبية الوافدة ، والثقافة العربية الموروثة ... مما يؤكد سيطرة النزعة العقلية على حركية التأليف في مصر آنذاك[٢].

ومن هذه المؤلفات ذات النزعة الفلسفية العقلية مؤلفات الدكتور : محمد البهي خاصة كتابه (الفكر الإسلامي الحديث وصلته الإستعمار الغربي) [٣] وتناول فيه قضية الفكر الميتافيزيقي الوافد ، ومؤلفات الدكتور: يوسف كرم خاصة كتابيه (العقل والوجود) ، و(الطبيعة وما بعد الطبيعة) [٤] ، وفي سنة ١٩٢١م يصدر كتاب الديوان، للعقاد والمازني للدعوة الصريحة إلى التحرر من قيود التقليد ، والتعبير الحر عن الذات ، وأن الشاعر بتقريره لوجوده الفردي المتميز ليضع حجر الأساس في بناء الحرية المنشودة ، وفي سنة ١٩٣٢م تظهر (جماعة أبولو) وهي أشد من (الديوان) في الدعوة للشعر الذاتي ، والدعوة للحرية والشعر الفلسفي، والألم والشكوى ، والنوازع الإنسانية بعيدًا عن السياسة وشعر المناسبات كما دعا لذلك (أبو شادي)

---

(١) للتفصيل : الشعر في إطار العصر الثوري د/ عز الدين إسماعيل ، ص/ ٤٩، وما بعدها .

(٢) وجهة نظر للدكتور : ذكي نجيب محمود ، ص/ ٤٤ ، وما بعدها .

(٣) للتفصيل : انظر تحليل د/ ذكي نجيب محمود ، في كتابه وجهة نظر ، ص/ ٣١ .

(٤) السابق نفسه ، ص/ ٣٣ .

مؤسس المدرسة ، ويؤلف العقاد سنة ١٩٢٤م كتابه (مطالعات في الكتب والحياة)، وساعات بين الكتب) سنة ١٩٢٩م ، وللمازني (حصاد الهشيم) سنة ١٩٢٤م ، (وقبض الريح) سنة ١٩٢٧م، ويفجر د/ طه حسين قمة الفكر العقلاني الفلسفي القائم على الشك في كتابيه في الأدب الجاهلي ، وعلى هامش السيرة الأولى سنة ١٩٢٦م ، والثاني سنة ١٩٣٣م [١].

وفي الفن القصصي نجد " زينب محمد حسين هيكل " لتعالج حقوق المرأة بين الفكر الشرقي والغربي، و(عودة الروح للحكيم) ، ومعالجة الحفاظ على الهوية المصرية في ظلال تعدد الثقافات وكثرتها ببعدها الفلسفي العقلاني على عادة الحكيم ، و(أهل الكهف) لمعالجة الإيمان بأهمية القضاء والقدر في حياة الإنسان وأن القدرة الإلهية فوق أفعال البشر كرد فني على المذهب الوجودي الذي لا يؤمن إلا بالحسيات والموجودات ولا يؤمن بالغيبيات ، ويؤلف د/ عبدالرحمن بدوي سنة ١٩٤٤م كتابه المهم في وقتها (الزمن الوجودي)[٢] ويصدر الشيخ علي عبدالرازق سنة ١٩٤٤م أيضًا (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية) [٣] ليوازن بين المنهج الغربي والإسلامي في النظرة للناحية العقلية الفلسفية .

كل هذا وغيره من المؤلفات يؤكد أن الهدف الواضح والظاهر لشتى مظاهر الفكر المصري، والأدب المصري هو خلق روح مصرية جديدة تتسم بطابع متميز[٤] ، مما يعني أن الاتجاه العقلاني الفلسفي أضحى مسيطرًا على الوجهة الفكرية إبان القرن العشرين على امتداده ، ولاشك أن هذا كان له أثره الواضح في بعث ونهضة الشعر الميتافيزيقي عند (صالح الشرنوبي) وهي فيما أعتقد أصدق التجارب الشعرية عنده لأنها تمتح من نفسه الحائرة ، ومن عقله الباحث عن الكمال ، والبحث عن الغيبيات فوقع الحافر على لحافز من الفكر العقلاني المسيطر على المجتمع ، وعقلية متأملة فلسفية تهتم بالتفاصيل وتبحث في المسكوت عنه .

أ- وتتمثل تجربة الشعر الميتافيزيقي الصريحة عند صالح الشرنوبي :

---

(١) للتحليل والتفصيل ، السابق ص/٤٥ ، وما بعدها .

(٢) وجهة نظر د/ ذكي نجيب محمود ، ص/ ٥٧ .

(٣) السابق ، نفسه .

(٤) وجهة نظر د/ ذكي نجيب محمود – ص/ ٥٨ .

المطلب الأول

تجربة الحيرة الوجودية بين الشك واليقين

يتأتى على رأس تجارب الفكر الميتافيزيقي عند صالح الشرنوبي جدلية الشك واليقين ، ومن المعلوم (أن الشك وليد التفكير العقلي وملازم له) [١].

وهذه الجدلية من أقرب الطرق تعني رفع قيمة العقل لفهم الكون وأسراره وعدم السير وراء المسلمات المتوارثة عن النقل الشرعي بأنواعه ، ومن ثم كان صالح الشرنوبي) يمجد العقل ويوظفه في فهم ما وراء الطبيعة ومكنوناتها ؛ وقد سبقه إلى ذلك الفكر الفلسفي اليوناني ، والمعتزلة ، وأبو العلاء المعري، وابن الشبل البغدادي ، وغيرهم من أصحاب الفكر العقلاني[٢].

وهنا يتلاقى (سؤال الشعر بوصفه سؤالاً موازيًا لسؤال الفلسفة من حيث ارتباطه بالتأمل والحدس) [٣] ولا يكون ثمة تناقض[٤] إطلاقا بين الشعر والفلسفة ، بل إن النظرة المتأنية تؤكد " أن من شأن الفكر الفلسفي دائمًا أن يناصر الأدب في التعبير عما يضطرب في دخائل النفوس كلٌ بطريقته وأسلوبه "[٥].

وآكد من ذلك أن الشعر الفلسفي يقودنا إلى الدهشة العميقة، والجديد والطريف والمبتكر على مستوى الأفكار والأساليب، والنفاذ إلى قلب الأشياء وذلك نتيجة للإحساس الشاعر الفيلسوف العميق بالأشياء وانفعاله بها الأمر الذي يؤكد أن ثمة مقاربات كثيرة بين أرض الفكر الفلسفي والأفق الشعري[٦].

---

(١) قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، د/ عبد القادر زيدان ، دار الوفاء لدينا ، الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط الأولى سنة ٢٠٠٦م ، ج/٢- ص/١٨٧ .

(٢) للتفصيل والزيادة . انظر السابق ، ص/١٨٦ وما بعدها .

(٣) على تخوم الفلسفة " أسئلة الشعرية في شعر محمود درويش " ، د/ بسام موسى قطوس، عمان ، دار فضاءات ، ط الأولى سنة ٢٠١٩م ، ص٢٠ .

(٤) للتفصيل حول التناقض بين الشعر والفلسفة ينظر : دراسات في الشعر والفلسفة ، د/ سلام كاظم الأوسى، دار نيبور للطباعة والنشر، العراق- بغداد سنة ٢٠١٣م ، ط الأولى ، ص/٩، وما بعدها ، ص/٨٣ وما بعدها .

(٥) مع الشعراء ، د/ زكي نجيب محمود ، مطبعة هنداوي ، ص/٦٦، سنة ٢٠١٧م .

(٦) دراسات في الشعر والفلسفة ، د/ سلام كاظم الأوسي، م/ سابق ، ص/٨٦ .

وإن شئت فقل إن الشعر الفلسفي يتسم بالرُّقي الإنساني في إعمال عقله ليقف الإنسان على المعرفة المنطقية التي تحكم حركية الكون . ومن ثم لابد أن يغرد الشاعر خارج السرب والمألوف ، ويكون غريبًا في إبداعه وتجاربه ، وهكذا كان (صالح الشرنوبي) أتعبه عقله الفلسفي الباحث عن الحقيقة، وأرَّقه قلبه الشاعري المستشعر لدقائق الأمور، وكان انفعاله للبحث عن حقيقة الكون شغله الشاغل وفكره المضني ، حتى ينتقل من الشك إلى اليقين على منهج د/ مصطفى محمود وتجربته . وهذا هو الشرنوبي يصارحنا عن نفسه الحائرة قائلاً :

(مخلع البسيط)

في رأسي عقل فيلسوف ∴ وفي صدري قلب شاعر

" وكلاهما قد حرمته الطبيعة نعمة الحرية .

فأقبلتُ على مناهل المعرفة أتزود منها ما شاءت طبيعتي ... وسأظل محكومًا عليَّ بهذا الظمأ الأبدي المطلق، ظمئي إلى ينبوع القمة العليا "[١].

وهذا الاعتراف يؤكد الاتجاه العام لإبداع الشاعر على طول ديوانه إنه الاتجاه العقلاني الفلسفي– بطابعه الميتافيزيقي الذي يتطلب المعرفة– الحقيقة الكونية– وما زال ظمآنا لا يرتوي وذلك كله كما قال هو : بحثًا عن الحرية . والحرية قضية فلسفية بالأساس مثلت محورًا هامًا في الفكر الميتافيزيقي منذ القدم[٢] عند علماء الكلام ، والمتصوفة، وفلاسفة اليونان[٣] والحرية التي يبحث عنها (صالح) وكانت مثار شكه وحيرته وقلقه ، والتي شغلت الفلاسفة من قبله هي قضية الفعل الإنساني أو قضية الإرادة الحرة للإنسان في مواجهة الإرادة الإلهية ، وهنا يتأتى الطابع الميتافيزيقي للقضية[٤].

---

(١) صالح الشرنوبي النهر الذي أسكر العالم ، أ/ محمد محمد الشهاوي، طبع المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة سنة ٢٠١٦م ، ص/٧٥ ، وهي ضمن مقالات الشرنوبي النادرة والتي لم تنشر في ديوانه الذي جمعه له د/ عبد الحي دياب، وأرى هذه المقالات تنقل نفسية صالح بكل صراحة ووضوح بما لم نجده في أشعاره، مما يسمح للبحث أن يقول أنها بوح وجداني يؤكد على البعد الفلسفي الميتافيزيقي الذي أرق صالح طوال حياته .

(٢) للتفصيل : قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، د/ عبد القادر زيدان ج/١– ص/٩وما بعدها .

(٣) السابق ، ص/ ٢٥ نفسه .

(٤) مشكلة الحرية ، د/ زكريا إبراهيم ، مكتبة مصر ، ط٢، ص/ ٢٢ .

فهل الإنسان مُخير أو مُجبر في أفعاله؟! وإذا كان مجبرًا وذلك انطلاقًا من كون الباحثين عن الحرية في الفكر الفلسفي ينتمون إلى أنصار الجبرية[١] فلماذا العذاب في الآخرة ؟ إذ كانت أفعاله مُقدرة عليه سلفًا ... مما يتأتى في شعر صالح الشرنوبي تباعًا هنا .. حتى أنه أودع مستشفى الأمراض العقلية مرارًا .

هذا وتظهر جدلية الشك واليقين أيضًا في شعر صالح ، ومنه قوله في قصيدته (من وحي التراب) . (من الكامل)

الشكّ دمّر أصغريك فهات من وحي اليقين[٢]
هذي الحياة طلاسم عزَّت على المتعالمين
يا ثُقل ما حُمِّلته ... منها على مرّ السنين
لولا بقايا ظلمة في الروح ... من ماءٍ وطين
لبرئتَ من قيد الحياة وصرتَ ذكرى الذاكرين

فالشاعر يصارحنا بأن الشك الميتافيزيقي في ما وراء الطبيعة قد دمر أصغريه (قلبه ولسانه) فقلبه دائم التعلق بهذه القضية، ولسانه . (أي شعره) دائم الحديث عنها مكررًا لها سواء في قصائد برمتها أو في أجزاء من قصائده بل في نثره الفني ، أوفي أزجاله العامية، والحياة (طلاسم) ألغاز لم يصل لفهمها أهل العلم .

وقد مثل له هذا الفكر ثقلا مضنًا حمله على طوال سني حياته ، ولثقل هذا الأمر على ذهنه ووطئته على عقله كأنه وحشيها جمه ليل نهار؛ ولذا يتمنى الموت (لبرئت من قيد الحياة) فالحياة له قيد (وصرت ذكرى الذاكرين) .

ومن تجربة الشعر الميتافيزيقي لجدلية الشك واليقين قوله :

" أريد أن أقف على حقائق الأشياء
أريد أن أفهم أسرار الكون إذا كان

---

(١) ديوان صالح الشرنوبي ، تحقيق : د/ عبد الحي دياب ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، بدون ، ص/١٣٠.
(٢) ديوان صالح الشرنوبي ، تحقيق : د/ عبد الحي دياب ، ص١٣١ .

في الكون أسرار .
أريد أكثر من هذا ..
أريد أن أعرف الله بعقلي .. وإلا فَلِمَ
أنعم عليّ به ؟
أريد أنقب وراء المجهول ..
وخلف الغيب "[١].

إنها الميتافيزيقيا التي تبحث عمَّا وراء الطبيعة ، عن سر المكنونات والغيبيات ولنلاحظ أريد أن أقف ، أريد أن أفهم، أريد أن أعرف ، أريد أن أنقب. إنه الفكر العقلاني عند الفلاسفة الذي يعلي من قيمة العقل الذي يوصل للمجهول، ويضرب صفحًا عن الإيمان بالمحسوسات أو العلم المتوارث في العقيدة والإلهيات ، " لأن الميتافيزيقيا هي دراسة الحقيقة في مقابل الظاهر... بالبحث في الوجود ومشكلاته "[٢].

وما ذلك كله إلا لأجل الانتقال من الشك إلى اليقين على غرار ديكارت، والغزالي، والمعري، والمعتزلة في إعلاء قيمة العقل في الحقل المعرفي الباحث عن الحرية بمعناها الفلسفي كأسمى قيمة ترادف مفهوم الإنسانية ، ولا عجب في ذلك الفكر العقلاني .. فلقد كان مبحث الحرية والاختيار أول المباحث التي بدأت بها الفلسفة الإسلامية في تاريخنا الحضاري بعد ظهور الإسلام...ودلت ملابسات هذه النشأة على ارتباط "الحرية " بالمسئولية في النظرة الإسلامية"[٣].

بل إن الفلسفة اليونانية لتؤكد العمق التاريخي للعلاقة بين الشعر والفلسفة في إعلاء قيمة العقل وسبر أغوار العلل عند الشعراء الغربيين بين الأشياء وتفسيرها منطقيًا؛ فأفلاطون بحواريته كان يلجأ إلى (الشعر) في مواضع عديدة لكي يوضح مفهومًا فلسفيًا ، ويحاول التفسير العقلي لمصدر الإبداع لدى الشاعر، صاحب نظرية (العود الأبدي) وصاحب الفكر الوجودي قد

---

(١) صالح الشرنوبي النهر الذي أسكر العالم ، أ/ محمد الشهاوي . مرجع سابق ، ص/٦١ .

(٢) الميتافيزيقيا بين الرفض والتأييد ، د/ سامية عبدالرحمن ، مكتبة النهضة المصرية ، ط الأولى سنة ١٩٩٣م ، ص/٧، ٨ .

(٣) مفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين، د/ محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، ط الأولى، سنة ٢٠٠٩م ، ص/٧ .

خلق في أجواء شعرية بحثًا عن الأنا الأعلى، والإنسان (السوبر مان) الذي لا تجد قدرته، وعبَّر عن فلسفته أيضًا في قصائد نثرية لينقل إلينا ما يُعرف بشعرية الفكر في طابعها الميتافيزيقي؛ وليؤكد من طرق أخرى، أن مهمة الفنان عالمًا أو شاعرًا تتسم بالكشف عن المجهول، وأن القصيدة في الشعر الميتافيزيقي تحمل في داخلها الإثارة والدهشة[١].

وكذلك يتأثر هذا التفكير الميتافيزيقي في الأدب الوجودي عند أدباء هذا الاتجاه ، إذ كان التركيز الأكبر والأهم عندهم الجانب التأملي المجرد للوجود، والموت، والخطيئة ، ومشكلة الزمان ، والاغتراب الإنساني، ومشكلة الحرية .. [٢].

وانعكس ذلك بوضوح في ما كتبه (سارتر) ما الأدب، ورواية الغيثان، الوجودية مذهب إنساني، وفيهما وضع آراءه وتأملاته الوجودية[٣] ، وقد تجلى الإبداع الشعري الميتافيزيقي في الشعر الغربي خاصة عند الشاعر الألماني (هيلدرلن) وقد وظفها هيدرجر كنماذج تطبيقية على نظرياته الفلسفية[٤].

هذا وقد انتشر مصطلح الشعر الميتافيزيقي بصورة تمثل ظاهرة إبداعية في الغرب خلال القرن السابع عشر وكان ذلك على يد مجموعة من الشعراء أمثال : جون دون ، وجورج هربرت، وهنري فون ، وأندور ما دخل ، وقد تميز شعرهم بالتأمل والتحليل الداخلي لدوافع النفس، وخبايا الكون ... [٥].

وتجلى " الشعر الميتافيزيقي الوجودي عند الشعراء المعاصرين منذ ستينيات القرن الماضي من أمثال خليل حاوي ، وأدونيس ، وصلاح عبد الصبور ، ومحمد الماغوط، ومحمد عفيفي مطر،

---

(١) دراسات في الشعر والفلسفة ، د/ سلام كاظم الألوسي (م. سابق) ، ص/١٠٤ .

(٢) دراسات في الشعر والفلسفة ، ص/ ١٧٢ .

(٣) للتفصيل والزيادة . كتاب بين الأدب والوجودية بحث في الأدب الوجودي، د/ محمد يحيى فرج ، نشر الوسيم. سنتر للطباعة والنشر – بدون .

(٤) مارتن هيدجر، ما الفلسفة ، والميتافيزيقيا ، هيلدرلن وما هية الشعر ، محمود رجب السيد، مراجعة د/ عبدالرحمن بدوي، دار النهضة العربية ، سنة ١٩٦٤، المقدمة ص(أ) ودراسات في الشعر والفلسفة ، ص/ ٢٥٩ .

(٥) دراسات في الشعر والفلسفة (مرجع سابق) ص١٧٣ ، وما بعدها .

والسَّياب ، ونازك الملائكة ، وبلندر الحيدري ، وعبدالوهاب البياني "[١].

كل هذه التجارب التي جمعت بين البُعد الفلسفي الميتافيزيقي والإبداع الشعري تؤكد عمق العلاقة بين الشعر والميتافيزيقيا من ناحية ، وتؤكد أن أصحاب هذه التجارب عقليون ، كماليون يعانون أشد المعاناة ، ويتألمون أشد الألم لبحثهم عن السر وراء الوجود وتفسير علله، واستكناه مجاهيله ، ويحاولون إيجاد حل للغز المفارقات المتوحشة وراء حركية الكون ومن ثم كانت تجاربهم تجارب معاناة وألم وفكر سوداوي متلاحق ... بسبب الشك المنهجي الذي غلَّف هذه التجارب الإبداعية، والتي فيها حارت العقول لأجل الوصول لليقين العقلي ...

ومن ثم كانت تجربة (صالح الشرنوبي) على غرار هؤلاء بل هي أشدّ وأمر لأنها كانت بؤرة فكره الدؤوب ، وحركة ذهنه المستمرة بدون توقف، يقول معترفًا بذلك في قصيدة بعنوان " سراب " (مجزوء الرمل) :

آه لـــو أســـتطيع أن أعـــرف كنـــــه الأبـــد[٢]

آه لـــو أدري مصـــير الـــر وح بعـد الجسـد !

آه لـــو أعلـــم مـــا بعـــد فنـــاء الموجـــد

أهـــو بعـــثُ رهنـــتْ ســـا عتـــهُ بالموعـدِ ؟

أم هـــو الوهـــم يـرينـــــــي القـرب كالمستبعـد ؟

آه لـو أنـــى مـــا عُمِّـــــــــــرتُ أو لـــــم أوحـــدِ !

ويقول في قصيدة أُخرى بعنوان " المواكب " .

جنون الرؤى وسُعار الألم ، رفيقاي منذ صحبتُ القلم [٣].

ومن اعتراضه حيال قضية (الشك واليقين) قصيدته التي بعنوان (الإنسان والمعرفة) .

---

(١) دراسات في الشعر والفلسفة ص ١٧٥ .

(٢) ديوان صالح الشرنوبي تح د/ عبدالحي دياب ، ص٣٢٣ .

(٣) السابق ، ص١٨٠ .

ففي المفتتح النثري للقصيدة يقول معترفًا على نفسه :

" إن هذه القصيدة أثرًا من آثار العقل الباطن ... قالها الشاعر في ساعة من ساعات الإشراق الروحي ، تجرد فيها الشاعر من عبث التفكير المادي التافه وأقبل على مسرح خياله ... فامتطى الريح بساطًا ... بحثًا في المعرفة علها تكشف له أنحاء جديدة من آفاق الكون والكائنين " [١].

وفي نفس القصيدة يقول بجدلية الشك واليقين وراء الغيوب . (من الخفيف) :

أنـا يـا ريـح جـوهر مستسـرٌ في كنوز ... في عالم مرتاب[٢]

اتخـذ الشـك لليقـين سـبيلاً فهـو فـي ظلمـة الهـوى الكـذاب

طهريني من رجس دنياي بالنَّار ر تلظـى فـي روحـك الغـلاَّب

وانظـري هـل تـرين إلا خـداعًا قـد كـواني بلمحـه الخـلاَّب

ثم يقول عن نفسه بضمير الالتفات من الخطاب إلى الغائب .

فهـو بـين النكـران والإعجـاب وهو بين اليقين والاضطراب[٣]

وعلى النهج نفسه يقول في قصيدة بعنوان " البعث "[٤] (الطويل) :

وشـعري ومـن حـب الحقيقـة نبعـه ويـا ليـت أنـى عشـت لا أعـرف الشـعرا[٥]

كـأني بـه فـي ظلمـة الطـين ضـحوة أهـال عليهـا الطـين مـن روحـه قبـرا

كـأني بهـذا العقـل ظـل خرافـة نثـور إذا وَّلـى ونشـكو إذا قـرَّا

---

(١) السابق ، ص ١٠٧ .

(٢) السابق ، ص ١٠٩ .

(٣) ديوانه ص ١١١ .

(٤) يقول هو عن هذه القصيدة " أنها تمثل طوفانًا من التوتر النفسي والقلق والتمرد على الحياة والأحياء " ديوانه ص ٤٠٧ .

(٥) ديوانه ص ٤٧ .

ومـن نكـد الأوهـام أنـى أُفلسـف الـ ـحياة كمـا أهـوى، ولـم أفنهـا خُبـرا[١]
عييت بها فهمًا ... وفي العجز راحة لمـن جعـل الـدنيا طريقًـا إلـى الأُخـرى

إن الشاعر من شدة دوران فكره الدائم للبحث عن الحقيقة الكونية التي تنقله من الشك إلى اليقين يُقرّ بأن :

شعره نبع من حب الحقيقة ، والبحث عن الغيبيات ، حتى أصبح كأنه قبر دفنت فيه هذه الحقائق الكونية التي لا جواب لها ، ومن كثرة فكره هذا ؛ يستشعر أن عقله ظلاً للخرافات والأوهام ، بل أضحى الشاعر (يفلسف الحياة) أي ينظر إليها بمنظار الفيلسوف المتأمل الباحث عمَّا وراء الظواهر توصلًا للجوهر وما غاب عن العقول ، علمًا بأن هذا الفكر أعياه ... لم يوصله لشيء على طريقة ومنهج جميع الشكاك في تاريخ الفكر الفلسفي ...

ومن قوله في تأكيد حيرته الميتافيزيقية بين الشك واليقين قوله في قصيدته (طال الطريق) [٢] (الكامل) :

طـال الطريـق ... فمـن يقـول لسـادرٍ[٣] حيـران" حسـبك .. قـد بلغـت مُناكـا
....
وبقيـــت وحـــدك .. لا تمـــلُّ تســـاؤلاً والحيـرة الخرسـاءُ .. رجْـع صـداعا[٤]

ومن ذلك قوله في قصيدة (حظوظ) (من السريع) :

مقـــادير بالغيـــب محجوبـــة وحكمـة أعيـت علـى الخلـق[٥]
أفنيـــتُ أيـــامي علـــى بابهـــا وفـي يـدي غـلٌّ .. وفـي عُنقـي
أطرقـــه مستصـــرخًا شـــاكيًا حيـران بـين العقـل والحُمـق

---

(١) ديوانه ص ، ٤٠٨ .

(٢) وقد قال هذه القصيدة بسبب فشله في دخول كلية دار العلوم جامعة القاهرة .

(٣) السادر – الغافل .

(٤) ديوانه ص ٤٨٥ .

(٥) ديوانه ص ٤٨٧ .

فما شَفْت وجدي.. ولا كفكفت دمْعي .. ولا أصغت إلى طرقي
فعدتُ والحسرة في أضلعي والغُصة المرة في حلقي
أصبحتُ لا أهفو إلى حاجةٍ أكثر من حرية العتقِ

ومنه قوله في شكه المنهجي وحيرته الوجودية .

وغامت على عيني الحقائق وانتضى لي الشكُّ سِفًا ظامئ الحد ماضيًا[١]
وحيرت من يأسي أأُدنِي منيتي فارحم نفسي أم أُميت حياتنا
حياتي طريق لست أدري انتهاءه وقبلاً جهلت البدء منذ ابتدائيا

هذا وإذا كان الوجود بكل دلالته وأسراره مثَّل للشاعر إشكالية فلسفية بالأساس وذلك وصولاً إلى " اكتمال الناقص " في العقل المعرفي الإنساني بالبحث في المجهول؛ فإن السؤال الشعري عند صالح الشرنوبي (في الشك العقلي) يأتي موازيًا لسؤال الفلسفي من حيث ارتباطه بالتأمل والحدس ، ومن ثم يكون السؤال الشعري عنده نتاج فكر فلسفي خالص[٢]، ويجلي التجربة الميتافيزيقية عند الشاعر ،

ويظهر ذلك بوضوح في نبوة من نوبات البوح الثائر والكاشف عن هذا الشك الشرنوبي إذ يقول متحيرًا ، سائلاً ، شاكًا في قصيدة من درر شعره بعنوان (السراب الخالد) [٣].

(الخفيف) :

من أنا؟ من أكون؟ ما كنتُ؟ ما بَدْ ء وجودي؟ متى تكون النَّهاية
ما وراء الحياة؟ ما غايةُ الدهـ ـر؟ وما كان قبل بدْءِ الرِّواية
كان من أوجد الورى من تراب وله في الوجود أعظم آية

---

(١) السابق ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .

(٢) درويش على تخوم الفلسفة ، أسئلة الفلسفة في شعر محمود درويش د/ بسام موسى قطوس ، عمان ، الأردن، دار فضاءات ، ٢٠١٩، ص ٢٠، ٢١ .

(٣) ديوانه ص٤١٤، ٤١٥ .

ثـم مـاذا؟.. صـمتٌ.. وعـيٌ.. وعجـز وظـــلامُ.. وحيـــرةٌ .. وعمايـــة ..
وشـــكوك تصـــبُّ أيـــام عمـــري وترينـــي ضـــلالتي كهدايـــة
ومقـــاديرُ تســـتحث[1] خُطايـــا وهـــي تجـري بنـا إلـى غيـر غايـة
وتمـــر الحيـــاة بـــين ســـؤالٍ وجـــواب يزيـــد جهلـــي غوايـــة

ويواصل الشاعر سؤالاته في تجربة الشك الميتافيزيقي الذي أرَّق حياته قائلاً في؟.

(الخفيف) :

مـــن ســـقاني كـــأس الحيـــاة ومـــن صور نفسي من المعاني الحنونـة[2] ؟
مـــن رمانـــي إلـــى التـــرب ومـــن قـدر للشـمس أن تعـيش سـجينه ؟
من بنـي الشـامخ الممرد فـي نفسـي وأعلـــى آفاقـــه .... وركونـــه ؟
ثـــم أغـــرى بـــه ريـــاح المقاديـــ ـــر فســـوت ســـهوله وحزونـــه ؟
ألمحـــض الوجـــود والمـــوت جئنـــا أم لســـر وحكمـــة مكنونـــة ؟
ليـت مـن فـي السـماء يـرحمْ شـكيٍّ فيَّـــريني ضـــياءَه أو يقينـــه ؟

ولا ينسى الشاعر– كعادته– في نفس القصيدة بل وفي شعره كله– أن يبوح صراحة بشكه وحيرته؛ ولذا أصر على مواصلة طرح هذه الأسئلة الفلسفية إذ يقول :

(الخفيف) :

ليْـتَ مَـنْ فـي السـماء يـرحم شـكيٍّ فيرينـــي ضـــياءَه أو يقينـــه[3]

ومنه : (الخفيف) :

واذكرونـــي– إن ذكرتمـــوني– ضـــياعي وشـــرُودي وحيرتـــي وشتاتـــي[4]

---

(1) تستحث : تتعجل ، من حثه يحثه حثا : أعجله إعجالاً متصلاً .

(2) ديوانه ، ص ٤١٤ .

(3) ديوانه ص ٤١٧ .

(4) السابق ونفس القصيدة ص ٤١٧ .

ودعوني أنمْ فقد آن للعا لم أن يستريح من صرخاتي

إنه الشك الميتافيزيقي أو الشك المنهجي الذي يريد أن يصل صاحبه لليقين بحثًا عن (الخفة الروحية) [١] التي تفسر المجهول وتخلص الشاعر من هذا العبء (الثقل الفكري) الذي لازمه طوال حياته ، وهنا يؤكد البحث مدى انشغال (صالح الشرنوبي) بقضية الحرية الإنسانية بمعناها الميتافيزيقي على منهج (رهين المحبسين أبو العلاء المعري في تمجيده للعقل ويتفق معه في كون الإنسان المفكر يرفع قيمة العقل ويفسر به ظواهر الكون، وفي الطبيعي أن يتخلل هذا المنهج الفكري في الإبداع الشعري جدلية (الصراع بين العقل والشرع) [٢] وذلك في قول المعري : (الخفيف) :

أيها الغُر إن خصصت بعقل فسألنه فكل عقل نبي[٣]

وعلى النهج ذاته يقول (الشرنوبي) :

أريد أن أعرف الله بعقلي ... وإلا فلِمَ [٤]

وإلا لماذا أنعم علي به ؟!

أريد أن أقف وراء المجهول وخلف الغيب

أريد أن أقف على حقائق الأشياء .

وهنا يتطابق تمامًا ما قاله د/ طه حسين عن المعري في صالح الشرنوبي إذ يقول : "العلة الحقيقية التي شقي بها أبو العلاء خمسين عامًا هي الكبرياء ... فقد أسرف أبو العلاء في

---

(١) درويش على تخوم الفلسفة (م/ سابق) ص ٤٩ .

(٢) للتفصيل : قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري ، د/ عبد القادر زيدان ، ج١/ ص٤٢، وج٢ / ص٥٩ بتصرف .

(٣) اللزوميات ، للمعري ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط٣، ٢٠١ ، ج٢، ص٤٤٩ .

(٤) صالح الشرنوبي النهر الذي أسكر العالم الأستاذ/ محمد الشهاوي في مخطوطات (صالح الشرنوبي) التي لم تنشر ص٦١ .

الإيمان بعقله ، وأسرف أبو العلاء في هذه الثقة بهذا العقل ورفض ما سواه"[١]، وبذا يتفق التوجه الشعري بين صالح الشرنوبي والمعري ، بل ويتناص الثاني مع الأول فكريًا وإبداعيًا في قضية الشعر الميتافيزيقي المبنى على أساس (الشك المنهجي)، وليس ذلك بدعا أو اختلاقًا من البحث وصاحبه، بل هو باعتراف (الشرنوبي) نفسه إذ يقول مقرًا بفضل وأثر المعري عليه : (الخفيف) :

يـا صـديقي أبـا العـلاء سلامًـا رطـب الله نفحـة بـالوداد[٢]

أنت أنسي في وحشتي- ويقيني- في شكوكي، ويقظتي في رُقادي

ويتعجب البحث، فمع أن (صالحًا الشرنوبي) كان محبًا للعزلة والوحدة، نجده يعترف(بصداقة) المعري .

فهو القائل : (الخفيف) :

وحدتي هِجرة إلى الفكْر في الكوْ ن . وكوني في الناس هجرة فكري[٣]

وهو القائل :

وحـدتي معبـدي وشِـعْري تبيـد حـي فبُعـدًا للنـاس مـن سُـمَّار [٤]

بل وله قصيدة كاملة في تمجيد (العُزلة) بعنوان (وحدة) [٥].

فصداقة (المعري) صداقة فكر وتلاقي منهجي في الشك الميتافيزيقي وتأثره به خاصة في (اللزوميات) والتي تمثل ميدانًا واسعًا (للقضايا الفلسفية من مثل قضية الحرية، والجبر، والنبوة

---

(١) مع أبي العلاء في سجنه ، د/ طه حسين ، ط ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ٢٠١٤م ، ص٣٠، ٣١.

(٢) ديوان صالح الشرنوبي ص٢١٣ .

(٣) ديوانه ص ٢٠٩ .

(٤) السابق ص ١٩٢ .

(٥) السابق ص ٢٥٩ .

، وقضية المصير، والخطيئة الأولى لآدم ... الخ " [١].

- **تساؤلات نقدية هامة :**

هذا ومن باب المنهجية الأكاديمية في البحوث العلمية، والجمع بين الأشباه والنظائر في البحث العلمي ؛ أجد أنه لابد من الإجابة (هنا) على بعض الأسئلة المهمة والتي أراها تدور الآن في ذهن المتلقي وإن لم يبح بها .

١- هل المعري بثقافته الفلسفية هو الرافد الثقافي الوحيد الذي أجج ثورة الشك الميتافيزيقي في شعر (صالح الشرنوبي) .

٢- وهل هذا الشك عند الشرنوبي هو شك مطلق الحادي، أم شك منهجي ؟

٣- وهل فعلاً بعد قراءة ديوان صالح بتروٍ وأناة وتلقٍ واع يمكن القول بأن مفتاح شعره وشخصيته هو (الشك الميتافيزيقي) ؟

السؤال الأول -

- وأما بقية الروافد الثقافية لتجربة (الشك الميتافيزيقي) عند صالح فمنها الآتي :

أ- رافد اجتماعي : وأعني به طبيعة المجتمع الثوري والعصر المضطرب الذي عاشه (صالح) خلال النصف الأول من القرن العشرين حيث ولد ونشأ الشاعر في ظلال ويلات الحرب العالمية الأولى ، وعاش أحداث الحرب العالمية الثانية ، وتعرض لمذلة الإقطاع، وانتشار الخرافات والأساطير، وشاهد بعينه دور البغاء وحياة الفقر والحرمان ... كل ذلك شكل في نفس صالح أثرًا سلبيًا محبطًا، مع كونه بالأساس شاعر مثقف وعقلاني تأملي . الأمر الذي أوقعه فما يُعرف بـ (اغتراب المثقف) ومن ثم دخل في دوامة الفكر الميتافيزيقي .

ب- رافد فني وأقصد به سيطرة (المذهب الرومانسي) على الفترة التي عاشها (صالح الشرنوبي) خاصة في ظلال مدرسة أبولّو (بدعوتها للشعر الوجداني، ويزوغ نزعة الحزن والبحث عن الذات ومشكلاتها في الفكر والشعر .

جـ- رافد تراثي فلسفي. ويتمثل ذلك في " الظمأ الدائم إلى المعرفة وتشوق الفرد إلى القمة العليا " الكمال " مما دفع إنسان ذلك العصر أن يقرأ ويقرأ، وقد كان " صالح الشرنوبي " من

([١]) مع أبي العلاء المعري في سجنه ، (طه حسين) (م. سابق) ص٢٥ .

أولئك المتأثرين بالفكر التراثي الفلسفي ، فقد قرأ لـ (أرسطو) وأفلاطون، وسقراط ، ونيتشه ، وديكارت، وجيته ، والغزالي ، وابن رشد ، وأبي حيان التوحيدي ، ومحي الدين ابن العربي، وأبي العلاء المعري ، كما قرأ لحكماء الصين والهند والأدب الفارسي "[١].

فالشك المنهجي عند صالح دفعه كذلك– كما يقول د/ عبد الحي دياب– " إلى أن يُلقي بنفسه في غمار الفلسفات الحديثة بحثًا عن الحقيقة التي يطمح إليها ... في فترة الشك الذي أصابته ، وعلى هذا فقد قرأ (الشرنوبي) لبعض الفلاسفة الغربيين لاسيما (نيتشه) وأدت قراءته هذه إلى أن يتساءل عن كل شيء ، وأن يشك في كل شيء ، وينكر كل شيء "[٢].

د– رافد شعري حديث : ويتمثل ذلك لمن يقرأ ديوان صالح بإتقان حيث يجد الأثر البين والواضح (لإيليا أبي ماضي) في قصيدته (الطلاسم) و(لعلي محمود طه) في قصيدته " الله والشاعر "[٣].

وكذا لـ (جبران خليل جبران) في حسه الميتافيزيقي المتشائم خاصة في قصيدته (المواكب) وقد سمى صالح قصيدة له بهذا الاسم ، واحتذى فيها " جبران" ولذا "اتفقت قصيدة المواكب للشرنوبي وقصيدة المواكب لجبران خليل جبران في الكثير من الأفكار والقيم "[٤].

ويؤكد د/ محمد مندور ذلك قائلاً " وأكبر الظن أن شعر إيليا أبو ماضي بنوع خاص قد غرر في نفسه– أي نفس صالح هذه النزعة التأملية اللاإرادية وقصيدته الوجودية على غرار ما فعل إيليا في قصيدته الطلاسم "[٥].

هذا والمتلقي لكتاب الأستاذ أنوار المعداوي الناقد الكبير (علي محمود طه الشاعر والإنسان " في ظلال قراءة ديوان صالح ليجد ثمة تناص إبداعي وتواصل فكري بين الشاعرين بما لا يتسع المجال هنا لبسطه .

---

(١) للتفصيل : صالح الشرنوبي النهر الذي أسكر العالم . أ/ محمد الشهاوي ، ص٧٦ .

(٢) مقدمة ديوان صالح الشرنوبي ، د/ عبد الحي دياب ص٢٨ .

(٣) للتفصيل : صالح الشرنوبي ، النهر الذي أسكر العالم ، ص٦٣ ، وما بعدها .

(٤) للتفصيل : قصيدة المواكب لصالح الشرنوبي قراءة في التوتر والثبات ، د/ علاء جانب، مجلة قطاع كليات اللغة العربية والشعب المناظرة لها ، العدد (١٣) ص ٢٤٢٥ ، والمقال منشور على النت منفردًا ، وقد وازن أستاذنا الكريم بين القصيدتين وأكد ظاهرة التناص بين صالح وجبران . مما يؤكد فكرة البحث .

(٥) الشعر المصري بعد شوقي ، د/ محمد مندور ، الحلقة الثالثة ، دار نهضة مصر، ص٣٧ .

فإذا كان صالح الشرنوبي معنيًا بالشعر الميتافيزيقي ، فإن ديوان (الملاح التائه) ليناقش الحقائق الكبرى المتبادلة كونيًا بين الله والإنسان ، يناقش علة وجوده ، وعلة بقائه ، وما بعد فنانه وقضية الجبر والاختيار ، محاولاً الرد على هذه الحيرة العميقة العريضة التي لا حد لها"[١].

والباحث يعتقد أن أكثر الشعراء تأثيرًا في صالح الشرنوبي هو (علي محمود طه) مما يُغري بإجراء موازنة بينهما في التناص الفكري في الشعر الفلسفي [٢].

والسؤال الثاني :

النص الشعري عند صالح يؤكد أن (الشك) الذي مارسه الشاعر هو(الشك المنهجي) على طول الديوان بأجزائه الإحدى عشر وفي النثر الفني، والأزجال العامية للشعر ، وهو (شكًا مقبولاً) ويسمى بالشك الفلسفي، وهو الشك الذي يُعد غاية في ذاته بل وسيلة للانتقال إلى اليقين "[٣]، وقد مارس هذا النوع الكثير من المفكرين بداية من (المعتزلة) ، وقد بدأ (بالنَّظام) صاحب نظرية (الصِرفة) و(الغزالي في (المنقّذ من الضلال) ، وعند الغربيين من أمثال (ديكارت) الذي قصد الوصول لحقائق الأشياء وسر الوجود وأما في ميدان الشعر الميتافيزيقي، فنجد– تجربة (سارتر) في الشعر الوجودي من منطلق أن " الوجودية تدعو لتميز الفرد بفكره لا بوصفه مجرد نفرٌ في قطيع "[٤]، وتجربة (البيركامو) وذيوع فكرة العبثية في أعماله وتجربة

---

(١) علي محمود طه الشاعر والإنسان ، أ / أنور الجندي الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ودار الشئون الثقافية بغداد ، الألف كتاب ، الثاني ٢١ ، عام ١٩٢١م ، ص١٦٢، ص ١٦٥ .

(٢) من أكثر قصدئد صالح تأثرًا بتوجه (علي محمود طه) وأسلوبه الشعري :

قصيدة (ا لإنسان والمعرفة) ديوان صالح ص ١٠٧ .

قصيدة (عيد شعري) ديوان صالح ص ١١٩ .

قصيدة (نسمات وأعاصير) ديوان صالح ص ١٨٧ .

قصيدة و(الفنان) ديوان صالح ص ٢٣٦ .

وكذا في صورة المرأة نجد اتفاقًا إبداعيًا في شعر الشاعرين خاصة في (الصورة الحسية) مع بنات الهوى ومرخصي الدمي ولذا ولحب (صالح) (لعلي محمود طه) رثاه بقصيدة طويلة ومؤثرة . انظر ديوان صالح ص ٤٨١ ، ٤٨٢ .

(٣) رواد الشك المنهجي ، د/ حسين صبري ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، الإمارات، ط الأولى ٢٠١١م ، ص٣٠ .

(٤) الميتافيزيقيا بين الرفض والتأييد ص ٧ ، ٨ (م/ سابق) .

(جون دون) الشاعر الألماني في الشعر الميتافيزيقي وتجربة الشاعر الانجليزي " ورد زورشا) وصديقه (كَولردج) [١].

وقد أعجب د/ ذكي نجيب محمود بهذه التجربة الميتافيزيقية عند " ورد زورث " وعرض له بشيء من التفصيل والشرح لمعاني شعره "[٢].

بل تتسع الظاهرة الميتافيزيقية في الشعر حيث تظهر طائفة من الشعراء الانجليز في القرن السابع عشر الميلادي قصروا شعرهم فقط على هذا الاتجاه، وعنهم يقول الشاعر بهاء جاهين " ومصطلح الشعر الميتافيزيقي هو مصطلح أُطلق على شعر كتبه مجموعة من الشعراء الانجليز في القرن السابع عشر أشهرهم جون دون ، وجورج مربرت– وهنري فوث ، وأندرو مارغل ، وقد تميز شعرهم بالمهارة الفنية والقوة الفكرية وأحيانًا بغموض الفكرة"[٣]، ومنه تجربة الشك الميتافيزيقي عند الشاعر الفرنسي (بول فليري) وقد سماه الفرنسيون شاعر العقل، ونستطيع أن نسميه عقل الشعر "[٤].

وقد أكد " بول فليري" أن " الشعر لابد أن يكون عيدًا من أعياد العقل"[٥] بل إن الشعر الميتافيزيقي يمتد إلى ما قبل الميلاد حيث نلتقي بشاعر فليسوف نظم الكثير من معاني الميتافيزيقيا شعرًا ، وذلك هو " بارميندس " معاصر سقراط ، وقد قامت بينهما مناظرة عام (٤٥٠) [٦].

هذا والبحث يؤكد أن تجربة الشعر الميتافيزيقي جاءت في الشعر العربي في نماذج محدودة وقليلة للغاية ، مقارنة بالشعر الإنجليزي ولعل (صالح الشرنوبي) يمثل اتجاهًا برأسه وقد خصص فنه للشعر الميتافيزيقي في شعرنا الحديث ، وقد تأثر بالشعر الإنجليزي ، وتأثر بالأدب العربي خاصة بـ (عبد الرحمن شكري) و(العقاد) و(المازني)و(علي محمود طه) وشعراء التوجه الفلسفي عند شعراء أبولو ،

وأكثر الشعراء تأثيرا في صالح الشرنوبي في هذا الاتجاه إضافة لما سبق " عبدالرحمن شكري)

---

(١) للتفصيل : من الوجهة النفسية دراسة في الأدب ونقده ، د/ محمد خلف الله أحمد ، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٤م ، ط الأولى ص ٨٢ وما بعدها .

(٢) للتفصيل : قشور ولباب د/ زكي نجيب محمود ، مطبعة هنداوي ٢٠١٧م ، ص١٣، إلى ص٣٤ .

(٣) أغنيات وسونات "الشاعر الإنجليزي (جون دون " مقدمة الكتاب، ترجمة أ/ بهاء جاهين (مسابق) ص٣٣ .

(٤) ألوان ، د/ طه حسين ، دار المعارف ، ط٦ ، ٥١وما بعدها .

(٥) شعر وفكر– دراسات في الأدب والفلسفة ، د/ عبد الغفار مكاوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥، ص٩ .

(٦) للتفصيل والزيادة ، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ، د/ أحمد فؤاد الأهواني دار الأوزعي ، بيروت، ط١ الأولى ٢٠١٢م ، ص١٢٩ إلى ص١٣٥ .

والذي شاع هذا التوجه في شعره والذي تأثر فيه بالشعراء الانجليز خاصة (شيلي) الانجليزي[١].

يقول د/ عبدالحي دياب (شكري هو شاعر (الشره العقلي الذي يجعله راغبًا أن يفكر في كل شيء، وهو شاعر الاستيطان الذاتي "[٢]

وعليه فإن التجربة الميتافيزيقية في الشعر قد اكتملت دائرتها في شعر " صالح الشرنوبي " واستقت من روافد متعددة ، ومفتاح شعر صالح هو وشخصيته (الشعر الميتافيزيقي) بل إن صورة نفسه هي صورة شعره يقول في قصيدة بعنوان (من وحي التراب) .

(الكامل) :

الشـــك دمـــر إصـــغريك فهـــ ات مـــن وحـــي اليقيـــن [٣]
هـــذي الحيـــاة طلاســـم عـــزت علـــــى المتعالميـــــن
يـــا ثقـــل مـــا حُمِّلتـــه ... منهـــا علـــى مـــر السنيـــن

بل نراه (يحاور الشك) من كثر فكره فيه قائلاً : (متداخل البحور) :

أيهـا الشـك يـا ابـن عمـري وليـالي فـي الشـقاء الطويـل
أنـت حَبْبَـتَ لـي المنيـة والقبر فأمست لقيامها تأميلي

وقد صدق الشاعر فالشك الميتافيزيقي هو منهجه الفكري على طول الديوان ، بأجزائه الأحد عشر، بل إن لفظة (الشك) [٤] قد تكررت في ديوانه مرارًا وتكرارًا ، وكذا كلمة (القفر) بدلالة

---

(١) للتفصيل حول (الشعر الميتافزيقي) عند شكري ، ينظر : ديوان عبدالرحمن شكري، مراجعة وتقديم ، فاروق شوشة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠م ، بدون ، ص ٥٤٨ . ومقدمة شكري لديوان الجزء الخامس عام ١٩١٦م ، ص٣٩٩ .

(٢) عبد الرحمن شكري ناقدًا شاعرًا ، ص ١٨ . د/ الفتاح الشطى، دار قباء للطباعة والنشر ، ط الأولى ١٩٩٩م ، ص١٩٧ .

وينظر الشعر المصري بعد شوقي ، الحلقة الثالثة ، د/ محمد مندور ، دار نهضة مصر، بدون ص٣٦ .

(٣) ديوانه ص ١٣١ .

(٤) انظر ديوانه ص : ١٥٧، ١١٦، ٢٠٧، ٢١٢، ٢٣٣، ٢٨١، ٢١٠، ٣١٩، ٣٢٩، ٤١٤، ٥٨٥ ... الخ .

الخواء والخراب [١] والإحساس بالعدمية .

- الظاهرة قوة وضعفًا في ديوان صالح الشرنوبي :

وبعد قراءة هذه الأجزاء الإحدى عشر من ديوان صالح الشرنوبي بمنظار الشعر الميتافيزيقي على امتداد الديوان من حيث الضعف والقوة نجدها كالتالي :

١) الجزء الأول والثاني : تظهر بواكير الظاهرة بداية ساذجة خافتة .

٢) الجزء الثالث ، وفيه تبدأ الظاهرة تقوى وتشتد للعيان .

٣) الجزء الرابع ترجع الظاهرة للهدوء النسبي والخفوت .

٤) الجزء الخامس، والسادس : تكاد تختفي الظاهرة تمامًا ولا تظهر .

٥) الجزء السابع والثامن والتاسع والعاشر، تستفحل الظاهرة للغاية وتكون إشكالية مثيرة للدهشة.

٦) الجزء الحادي عشر ، يرتد الشاعر لهدوئه الفكري وينسجم مع الجزء الرابع في غياب الظاهرة وخفوتها بعض الشيء .

وكذا يتجلى التوجه للشعر الميتافيزيقي (عند صالح الشرنوبي) في عناوين الدواوين ، وعناوين القصائد ذاتها .

ففي عَناوين الدواوين نجده أطلق على ديوانه الأول " أصداف الشاطئ " وديوانه الثاني : "الأمواج " والثالث : " نسمات وأعاصير" ، والرابع " في موكب الحرمان " ، والسادس : (أقاصيص " ، والسابع " أسفار ورسوم " ، والثامن " ظلال وألوان " ، والحادي عشر"مع الريح ".

وكذلك في عناوين القصائد يظهر الشعر الميتافيزيقي الباحث عن حقيقة الوجود .

مثل " الإنسان والمعرفة " " المجنون " " من للغريب " " من وحي التراب " "حرمان " " سراب" " تحت الأنقاض " و" غريب في الربيع " " وحدة " " المواكب" ، "من الماضي " ، "البعث" ، " أنا في شعري" ، " خمسة وعشرون عامًا " ، " حياتي " ، "أنشودة الغرباء " ، "وقلبٌ حائر " " رحمت الظلال " .

وبذا يتفق التوجه الميتافيزيقي في شعر صالح وتجربته بين عناوين الدواوين وعناوين القصائد .

---

(١) انظر ديوانه ، ص ١٦٣، ١٨٩، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٦، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٤٦، ٥٠٩ ، ... الخ .

المطلب الثاني

تجربة الشك الميتافيزيقي (الرمزي) عند صالح الشرنوبي أو الغزل الرمزي بالمرأة

وعلى طريقة الرمزية في الشعر الصوفي الذي يتخذ من (المرأة) في الغزل العذري أو الحسي رمزًا وقناعًا للوصول إلى المحبة الإلهية، وكشفًا للأسرار الكونية الميتافيزيقية، وذلك تأسيسًا على قاعدة هامة خلاصتها " أن الحب الإنساني للمرأة هي الخبرة التي يؤسس عليها الحب الإلهي "[١] وكما أنه في تجربة الحب الصوفي " للمرأة امتحان عسير لابد من خوضه قبل ولوج تجربة الحب الإلهي والفناء في حضرة الله تعالى ، ومن حب المرأة هو أداة الوصول للحب الإلهي "[٢].

يتجاوز (الشاعر) هذه التجربة الصوفية ، ويتخذ من المرأة رمزًا للحب الإلهي ليصل إلى الحقيقة الوجودية، وسر ما وراء الطبيعة .

وبذا ينتقل صالح من تجربة الشعر الميتافيزيقي المباشر، إلى التجربة الرمزية ولكن من الملاحظ (أن صالح) يتفق مع الصوفية في هذا التجربة في الاعتماد على العاطفة الوجدانية أكثر من اعتمادهم على العقل وإن كان كلاً منها يكمل الآخر يقول د/ غنيمي هلال (ولا ريب أن الذي ساعد الصوفية على مسلك الحب الإلهي ما منحوه للعاطفة من أهمية ، إذ جعلوها طريقًا للهداية ، وفضلوا اتباع القلب في الوصول إلى الله على اتباع العقل "[٣].

وهنا يظهر وبقوة في شعر الصوفية وفي شعر صالح أيضًا : (مصطلح الشعر الميتافيزيقي لأنه يتكون من **تيارين جوهريين** ، تيار تأملي تمثيلي الأفكار، وتيار وجداني يمثله الشعور، بل تبدو الأفكار النابعة من التأملي الخالص مُشربة بالعاطفة وعلى هذا النحو يعتبر الشعر الميتافيزيقي على حد ما يقول (هربد تارن " فهمًا عاطفيًا للفكر ، أو كما وصفه وانثي فكر

---

(١) التصوف في الشعر العربي ، نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري، د/ عبدالحكيم حسان، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط الأولى ٢٠١٢م ، ص٥٦ .

(٢) تجليات المرأة والأنوثة في الخطاب الصوفي ، ابن عربي نموذجًا ، بقلم أ/ فؤاد أعراب مقالة على النت بدون ، ص ١٦ .

(٣) الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ، د/ محمد غنيمي هلال دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة ، القاهرة ، بدون ، ص ٢٢٢ .

متحول إلى مجازات وتخيلات "[١].

وبالتالي فالقارئ المتأني لنصوص هذه التجربة الرمزية الميتافيزيقية في شعر صالح يلاحظ ظاهرًا أن العاطفة والانفعال الوجداني يعلو التجربة وفي نفس الوقت تحمل في باطنها وجوهرها البُعد العقلاني التأملي .

فالمرأة في شعر صالح (غالبًا) لم تكن مقصودة لذاتها ، بل هي رمزٌ ظاهريٌ اتخذها معبرًا يتوصل به إلى حقيقة الكون وسره الغامض ،

والأمر الجدير بالملاحظ أن هذه النماذج الرمزية الغزلية في شعر صالح يعتريها الغموض أحيانًا ، وتستلزم مجهودًا زائدًا من المتلقي في فك مغاليقها ، وهنا يتطابق شعر صالح الميتافيزيقي الرمزي بالمرأة مع النقد الغربي في الشعر الميتافيزيقي فقد نقل (ستانلي هايمن) عن (رانسوم الشاعر والناقد الأمريكي ت ١٩٧٤م). أن الشعر الميتافيزيقي هو (الشعر الذي يوقظ الانتباه على وضع جديد لحقيقة مألوفة ، بما يمكن أن نطلق عليه أنه طريقه مجازية أو إيهام بماله من خصائص المعجز العجيب "[٢].

ومن خلال حصر قصائد الغزل الميتافيزيقي الرمزي في ديوان الشاعر نجدها كالتالي : أُغنية الفجر ، أنا وأنت ، كأسها الحزين ، ذكريات ، وسنان ، الفتنة الخرساء ، لوعة ، بيننا ، يا حب ، قيس ، زواج إبليس، بخيل ، عتاب ، نشوة ، غريب ، الخبة الحمراء ، دعيني ، حورية المصيف ، أحلام عجرية ، ر س و ج) أحلام المصيف ، قلب بلا حب ، إليها ، وغريب الدار ، أشواق ، الحكمة .

هذا ومما يؤكد الرمزية الميتافيزيقية بالمرأة عند الشاعر والتي امتطى فيها طريقة الصوفية للوصول إلى الحقيقة الكونية وسر الوجود في شعره ما يلي :

اعتراف الشاعر نفسه بأنه لم يعرف الحب ولا عذاباته ، ولم تكن المرأة لتشغله طوال حياته

---

(١) الرمز الشعري عند الصوفية، د/ عاطف جوده نصر ، دار الأندلسي ، دار الكندي، بيروت ، ط الأولى، ١٩٧٨م ، ص٣٢٢ .

(٢) النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ، ستانلي هايمن ، ترجمة د/ إحسان عباس، د/ محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، ط١ الأولى ، ١٩٥٨م ، ص١٦٣ .

على– قصرها– أليس هو القائل من قصيدة بعنوان " يا حب " (من الهزج):

سـئمتُ الحـبّ إنسيًّـا فمالي في الدُّنى حبُّ [١]

وللفكـر الجمـوح خُطـا أميزهـا فأضطـربُ

وللفكـر الجمـوح أعيـ ـش ما يثنيني النَّصب

وكـم فـي غانيـات الجنـ ـس للمحـروم مُطَّلـبُ

فمرحَـىَ بـالهوى الجنِّـي مـا دق لـه القلـبُ

ورفقًـا يـا بنـة الفِكـر فقـد أفنـاني الجـدبُ

وعـدلاً أيهـا الحـب فما لـي فـي الهوى ذنبُ

إنها المصارحة والاعتراف بالبوح الوجداني من الشاعر ، بأنه لم يعرف الحب، ولم تكن المرأة لتشغله ، وإن مقصده الفكر الجموح " وله أعيش " ولذا يخاطب الحقيقة " يا ابنة الفكر " الأمر الذي يؤكد أن حبه للحقيقة الغانية والمتمنعة عليه .

ومنه قوله في قصيدة بعنوان " أحلام الصيف " ، (الخفيف)

أنا لم أعرف الهوى في حياتي وأرانـي لـن أصـطلي نيرانـه[٢]

لـي قلـب أخشـى الهـوان عليـه وإبـاءُ حمـاه قلبـي وضـناه

ومن أظهر النصوص في تجربة الرمزية الميتافيزيقية (بالمرأة) نجد قوله : (البسيط)

أريـد حـواء مـن صُـنع المقـادير أسطورة شربت خمر الأساطير

مخلوقـة مـن بيئـات القـوارير والـذكريات وأنفـاس المزاميـر

أريـــدها فكـــرة الله خالـــدة خلود روحي وأشجاني وتفكيري

أسمو بها ثم تسمو بي إلى فلك يفنى على نوره قلب السمادير

أريـدها كالأمانـي صـدقها كـذب أريـدها فرحـة طافت بهـا النـوبُ

---

(١) ديوانه ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٢) ديوانه ص ٣٧٤ .

إن حواء هنا ليست حواء من جنس البشر، بل هي رمز للحقيقة المتمنعة عليه ، وسر الوجود الذي حيره ، ولذا فهي حواء (المقادير– والفكر) حواء الغائية التي تهديه طريقه وتنقله من الشك إلى اليقين ، إنها حواء التي تطمئن روحه من كثرة بحثه عن سر الوجود ، وما وراء الغيبيات ، حواء (يسمو بها – وتسمو به) ليستريح من عناء الفكر وتهديه لما يؤرق فكره ويلح على عقله ، الفكر الوجودي في أسرار الكون وغيبياته .

إنها " حواء الفكر والفلسفة والتصوف وفناء الذات حلولًا واتحادًا وامتزاجًا وتوحدًا"[١] ليصل إلى الحقيقة التي تريحه في صراعه النفسي خلال مرحلة (الشك للموصول لليقين).

ولذا كانت حواء له " سلوة " لأنها تخفف عنه عناء الفكر الوجودي إذ يقول :

(من البسيط) :

أســـلوةٌ أنـــا ؟ مـــا لـــي لا تنـــاديني حـواء فكـري إلـى حـب المجـانين ؟
حـــب الألوهيـــة النشـــوى بعفتهـــا وعـــزة عرفـــت ذُل المســـاكين
هنـاك تحلـو انطلاقـاتي تعرفنـي نفسـي ويُغرقنـــي مـــوج الأفـــانين
هنـــاك حيـــث اتَّحـــدْنا روح شـــاعرة وشـاعر بـالهوى والمجـد مفتـون
حـواء ! ؟ مـا طابـت النجـوى لمنتحـب عـودي إلـى آدم فـي التيـه مغتـربِ

إن (صالح الشرنوبي) يريد حواء الحقيقة الغائبة وسر الكون ولذا فهي (سلوة له) "وحب الألوهية " حواء التائهة التي يتمناها أن تعود لآدم المغترب في تيهه وفكره الحائر (عودي إلى آدم في التيه مغترب) .

إنه رجاء وتمنى وإشفاق من حواء (الحقيقة المتمنعة) عن الظهور لتدله على أسرار الكون وسر غيباته ، وما وراءه من أسرار وإشكالات عقلية . إنها الحقيقة التي يتمناها أن تناديه (مالي لا تناديني) ؟ وتنقله إلى حب " المجانين " أنه وهم وحيرة وهم الشكاك الذين يبحثون عن حقائق الكون وأسراره وهم الباحثون عن الحقيقة الكونية، فالمجانين عند الصوفية من أخذهم

([١]) صالح الشرنوبي ، النهر الذي أسكر العالم ، أ/ محمد الشهاوي ، ص١٢٩ .

العشق الإلهي للبحث في سر الموجود والوجود فما سُمي " قيس بالمجنون " إلا لاستغراقه في عاطفة الحب "[١]، كذلك شاعرنا أراد ويريد أن يكون حبه للحقيقة كحب المجانين العذريين والصوفية المجاذيب " فما الجنون عندهم إلا بسبب شدة الكلف والولع "[٢].

إن حب المجانين " لحواء الفكر والحقيقة الغائية هو الموصل إلى حب الألوهية الصادق ، هكذا قصد الشاعر عله أن يصل إلى أسرار الكون ، وحقيقة الوجود ، وسر النفس، والروح ، والخلق ، ويهدأ من شكه الميتافيزيقي الذي مارسه باستمرار في تجربته الصريحة أو الرمزية بالمرأة ، وبذا يؤكد البحث– بعد قراءة القصائد السابقة – أن صالح الشرنوبي وظف الرمز الميتافيزيقي الصوفي في الظاهر ، ولكن كان مقصده في الباطن بالمرأة أو حواء– الحقيقة الغائبة ، يقول أ/ محمد الشهاوي وهو من أقرب الدارسين لصالح وشعره " إن صالح الشرنوبي قصد بالمرأة في شعره " المرأة الكمال" ، و" المرأة الجلال " ، و" المرأة الرمز "[٣].

وهنا تظهر الأنا (الشرنوبية) المتراوحة بين العقل والجنون ، بين الشك واليقين ، والشطط والاعتدال ، والعادية والنبوة ، الخيالي والواقعي ، إنها الأماني الحائرة ، والمترددة والمحتدمة بعذابات الأسئلة ، والمتشوقة إلى إجابة تنقع غلتها ، وتشفي جراح تورتها "[٤] وذلك لأن قضية صالح الشرنوبي طوال حياته وعلى امتداد شعره هي قضية البحث عن الحقيقة الكونية، وأسرار الوجود وهذا هو ما اعترف به قائلاً :

- أريد أن أقف حقائق الأشياء
- أريد أن أفهم أسرار الكون إذا كان في الكون أسرار .
- أريد أكثر من هذا .
- أريد أن أعرف الله بعقلي ... وإلا فلم أنعم عليا به .
- أريد أن أنقب وراء المجهول وخلف العتب [٥].

---

(١) الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ، د/ محمد غنيمي هلال (م/ سابق) ، ص٨٧ .

(٢) السابق ، ص ٨٩ .

(٣) صالح الشرنوبي النهر الذي أسكر العالم ، أ/ محمد الشهاوي ، ص١٢٨ .

(٤) صالح الشرنوبي النهر الذي أسكر العالم ، أ/ محمد الشهاوي ، ص ٥٠ .

(٥) السابق ، ص٣٢٧ ، وهي في مخطوطات الشاعر التي لم تنشر في ديوانه للدكتور عبدالحي دياب، وقد

ومما يؤكد وجهة البحث هنا قضيته الرمزية التي بعنوان " امرأة " والتي يقول فيها رامزًا وقاصدًا للحقيقة الكونية الغائبة .

امـرأة [١] (من الخفيف) :

فيـك معنـى مـن المعـاني ... بعيـدٌ عـن مرامـي العقـول والأفكـار

هـو سِـرٌّ لمـا أُكابـدُ فـي حُبِّـك (م) مـن لـوعتي .. ووجـدي .. ونـاري

أَتُـرى تعرفينـه ؟ ليسـت أدري وأُرَانـي لكنْهـهِ غيـرَ دَارِ
أنـا مزَّقـت عنـه كـلَّ حجـاب نَسَجَتْـهُ أَنَامـلُ الأَقْـدَارِ
وحشـدتُ الخـواطرَ الْـهِيمَ تَنْسَـا بُ لتفْنـى فـي موْجـك الهـدَّار [٢]
وتمثَّلـتُ كـلَّ شـيءٍ عـن الْمـر أةِ لُغْـزًا يمـوجُ بالأَسـرار
وإذا بـي أَعُـودُ بعـد انْطلاقـي فـي بَوَادِيـك مُوثَقًـا فـي إِسـارى [٣]
وأُحِـسُّ الشـيطان يَضْـحَكُ فـي نفـ ـسـك منّـى فـي حيرتـي وعِشَـاري
أنـتِ. مـا أَنـتِ ؟ جَنَّـةٌ كجحـيمٍ عنـدها المؤمنـون كالكُفَّـار
كبريـائي هانـت .. ومـا زلـتِ أُنْثـى تتلهَّـى .. بمحنتّـي وانتحـاري

أَنكرينـي مـا شـئْتِ واحترقـي حُبًّـا (م) لغيـري .. وامضـي مـع التَّيـار

لسـتُ أرجـوك.. لا.. ولا أنـا أخشـا كِ .. ولكنَّـه دمـي وسُـعارِي [٤]

جمعها أ/ محمد الشهاوي . فهو ابن بلدته وبينهما قرابة وصلة رحم .

(١) كان عنوان هذه القصيدة " مُعْجزة " ثم شطبه الشاعر وهو يراجع شعره وغيرّه إلى " امرأة " .

(٢) الهِيم : جمع أهْيم ، وهو من الرجال ومن الإبل : العطشان أشدّ العطش .

(٣) بَوَاديك : جمع بادية أو بِدَاءة وهي الصحراء ، وتجمع البادية كذلك على باديات . والإِسَار : ما يقيّد به الأسير، ج : أسر .

(٤) السعار : حر النَّار ، والتهاب العطش، وشدّة الجوع .

وشبابي المحروم .. واللهفة الهو ... جاءُ تمضي به لغير قَرَار
وحياتي الخرساءُ مشدوهة الأحلام ... مقرورةُ الدُّجى والنَّهار
لم تعد غير مسرح لأفاعي الـ ... وَهْمِ تغدو بسُمِّها أَفْكاري
فاجذبيها إلى حياتك حينا ... تُنْعِشي ماحرقْتِ من أَزْهَاري
وابعثيني فقد تخلد أيا ... مَك في عَالَمَ الهوى أَشْعَارِي
وأعيدي إلىّ فجرى فقد ضِقْـ ... ـتُ بصمْتي وظُلْمتي وانتظاري
وإذا ما أبيت إلا جموحا ... فَحَرامٌ عليك حتَّى احتقاري

* * *

أَنتِ ما أنتِ ؟ حكمتي فيك عَمْيَا ... ءُ ، وعقلي مُهَدَّدٌ بالدَّمَار
لمْ يكُن حُبُّنَا لقلبي يومًا ... من مُنَاه .. ولم يكن باخْتياري
لك منّي تَشوُّقٌ يُرمِضُ الرُّو ... حَ ولي منك خالدُ الْأَعذار[1]
آه .. يا حسرتي إذا ضاع عُمري ... ويَقِيني لدَيك كَالإِنكَارِ !

- فيك معنى من المعاني بعيد عن مرامي العقول والأفكار هو سر لما أكابد في حبك من لوعتي ووجدي وناري أترى تعرفينه ؟ لست أدري .. وأراني لكنهه غير دار أنا [2].

ظاهرة الغموض في تجربة الرمز بالمرأة في الشعر الميتافيزيقي .

المتلقي للتجربة السابقة الذكر عند صالح الشرنوبي ، يثبت له غموضها غموضًا يكاد يصل إلى حدّ الإبهام أحيانًا، ولذا فإن القراءة العميقة والمتأنية لا السطحية السريعة، هي التي توصل المتلقي لهذه الرمزية فهذه القصائد من شعر الرجل لا تبوح بأسرارها إلا بعد جهد ومشقة في فعل القراءة ، حيث جاءت هذه النصوص من الشعر الصوفي الرمزي المعقد المعنى والمتداخل في فهمه ؛ بسبب شدة التداخل بين الغزل الإنساني والغزل الإلهي ، ومن ثم يجد القارئ عنتًا

---

(١) يرمض الرّوح : يحرقُها .

(٢) ديوان صالح الشرنوبي ، د/ عبد الحي دياب ، ص ٣٤٧ .

في فهم نصوص هذه التجربة تحديدًا في شعر صالح دون غيره .

ولكن توجد ثمة قرائن (لفظية) تمكن المتلقي من تفسيرية الرمز وفك غموضه مهما حاول الشاعر أن يلتف علينا بإلباس الحقيقة الكونية التي يبحث عنها لباس الغزل العذري أو الحسي، وليس صالحًا بدعًا في هذا الغموض (فمن المعلوم أن من أسباب الغموض في الشعر العربي الحديث ما يعرف بالغموض الذاتي المتعالي على الوجود تعاليًا فلسفيًا صوفيًا فقد الوعي بذاته وبالحياة ، فهو في شطح رمزي متوالد ومتداخل ومتناقض بين الرموز والدلالات "[١].

وهذا بعينه ما لاحظه الباحث في قصائد الرمز الميتافيزيقي بالمرأة والتي بلغت سبعة وعشرين قصيدة من ديوانه ، وعلى ذلك يمكن القول بأن هذه القصائد تتأتى من تجارب " الصنعة الشعرية " التي تتطلب كداً للذهن وإعمال الفكر في بنائها الفكري واللغوي ، وبذلك وفي هذه التجربة الرمزية تحديدًا ينسجم الإبداع مع الشخصية فالرجل شاعر عقلاني ، فلسفي ، تأملي ، وقد عبرت التجربة بنفسها وأفصحت أنها نتاج عُزلة وانفراد وفكر متواصل .

" فصالح في الكثير من شعره كان يعايش الفكرة مدة من الزمن غير قصيرة ، ثم يدخل في حالة من الشرود والغيبوبة عن الوعي حتى وهو بين أصدقائه ، وقد يستغرق إنشاء القصيدة أسبوعين كاملين أو أكثر وهو مغلق على نفسه باب حجرته حتى يغدوا إبداعها كعملية الولادة لدى النساء ... وهو في حالته هذه يكون مسترسل اللحية وشعر رأسه ، وعيناه غائرتان ، ويعتريه الشحوب والهزال ولا يشعر بالجوع ... وحينما ينهي القصيدة يقدم الطعام والشراب نهم شديد "[٢] وذلك كله في حالة من الصراع الفكري الذي يصل لجنون المفكر، وخبل الفلاسفة .

يقول : جنون الرؤى وسُعار الألم رفيقاي منذ صبحت القلم عرفتُ من الفن معنى الحياة– وكنه الوجود وسر العدم [٣].

بل كان صراعه مع الفكر الميتافيزيقي ثورة في داخل عقله .

---

(١) ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، د/ محمد عبدالواحد حجازي ، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الإسكندرية ، ط١ ، ٢٠٠٠م ص ٦٢ .

(٢) مقدمة ديوانه ، د/ عبد الحي دياب ، ص٦٦، ٦٧ ، ٦٨ بتصرف .

(٣) ديوان ص ٣٣١ .

يقول : (الخفيف) :

ثـورة فـي جـوانحي لـيس تهـدأ وخيــال يفنــي الكـوارث عـدا

تفسير الغموض في تجربة الرمز الميتافيزيقي بالمرأة عند صالح .

إذا كان العنوان " هو المفتاح الأهم من مفاتيح الخطاب الشعري ، وهو المحور الذي يحدد هُوية النص ، وتدور حوله الدلالات، وتتعالق به وهو بمكانة الرأس من الجسد "[١] فإن البحث ليؤكد من أول وهلة أنه مما زاد الغموض في هذه التجربة عند (صالح الشرنوبي) " العنوان المراوغ) فإن كان العنوان في النقد الحديث " لا يأتي في النص مجانًا ولا اعتباطًا "[٢]. فإن (صالحًا) وعن عمد وإصرار قصد تحصين نصوصه وعدم الوصول إلى المعنى مباشرة سواء في العناوين أو القصائد إلا بالقراءة العميقة والمجهدة ، فكما أُجهد هو في صياغة معانيه الفلسفية؛ فعلى المتلقي أن يعاني أشد المعاناة في الوصول لمعاني شعره في هذه التجربة تحديدًا ...

قصد الشاعر قصدًا " التمويه الذي يحفز المتلقي على القراءة المتأنية الواعية ، فيصبح طرفًا وشريكًا في بناء القصيدة وعلاقاتها المتداخلة ، ومكوناتها، وفك شفارتها ومغاليقها الرمزية "[٣].

نعم صناعة العنوان عند (صالح) في هذه التجربة زادت الغموض في فهم المراد وجعلت الباحث يبذل جهدًا شاقًّا لمحاولة الوصول للمعاني المقصودة من العنوان ، أو من خلال النص نفسه ، وربطه بالعنوان ولنستمع إلى بعض عناوينه في هذه التجربة.

لنجد (أنا وأنت ، كأسها الحزين ، وسنان ، لوعة ، بيننا ، يا حبُ ، قيس ، عتاب ، نشوة ، الجنة الحمراء ، وعيني ، قلب بلا حب ، إليها) .

فعند ربط العناوين بالقصائد ، نلاحظ المراوغة والتخفي والقناع يعلو المشهد الشعري بما يؤكد الغموض ، إذ أنها عناوين تُخيل للقارئ في الظاهر وعند التعجل في فعل القراءة ، أنها قصائد

---

(١) قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر ، دراسة ، د/ خليل الموسى ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، سوريا ، ٢٠٠٠م ، الأولى ، ص ٢٨ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) الرمزية والقناع في الشعر العربي الحديث ، (السَّياب) ونازك ، والبياتي ، د/ محمد علي كندي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بنغازي ، ليبيا ، ط الأولى ، ٢٠٠٣ ، ، ص٩٣ .

في الغزل العذري المعهود عن المتيمين ولكن وفي الواقع من خلال عمق التجربة لا نجدها إلا رمزية وقناع ، قصد الشاعر من ورائها التوسل بالمرأة للحقيقة الكونية الغائية وأسرار الوجود على منهج الصوفية في الربط بين الحب الإنساني والتوسل به للحب الإلهي .

ولكن مهما حاول الشاعر أن يُحصن نصوصه ، فإن القراءة المتأنية الواعية من منطلق فهم النص من منظار المنهج السياقي (النفسي والاجتماعي والفني) يمكنها أن تقتحم النص وتفك مغاليقه وإعادة انتاجه .

" فإنه لابد لكل نص أدبي من هذا النوع من الشعر الغامض من مفاتيح يتلمسها القارئ لتستطيع تفكيك النص وفك شفراته والكشف عن خباياه "[١].

آليات كشف الغموض في هذه التجربة الرمزية بالمرأة :

حاول الباحث أن يفسر هذا الغموض ويفك تشابكه من خلال .

- كلمة .
- أو بيت شعري .
- أو خواتيم بعض القصائد التي يبوح فيها الشاعر بوحًا خفيًا يتلمسه القارئ ، وهي عادة فنية في شعر (صالح الشرنوبي) في هذا النوع من التجربة الرمزية خاصة .

فمثلاً لا حصرًا في قصيدته (أنا وأنت) ، نجد لفظة (أنا الحائر) [٢] فحيرته هذه من مستلزمات المعجم الشعري عنده في ظاهرة الشك الميتافيزيقي المباشر .

ومن قصيدته (كأسها الحزين " نجد بيتًا يفسر لنا الرمزية ويكشف غموض العناوين في تعانقه مع النص ، وذلك هو قوله : (مجزوء الخفيف) :

مُلهـــــم مـــــن ملاكـــــه بـــدَّد الشـــكَّ باليقيـــن[٣]

وفي قصيدته (ذكريات) نجد الغموض يفسره ببيت شعري أيضًا، وذلك قوله :

---

(١) قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر ، د/ خليل الموسى ، (م/ سابق) ، ص٨٣ .

(٢) ديوانه ص ٧٥ .

(٣) ديوانه ص ٨١ .

وأسبح في فكري ودمعي سابحٌ ؟ كف كغادية السُّحب[١]

وفي قصيدته المراوغة (لوعة) نجد الغموض يُفسر ببيت شعري يلتقطه المتلقي من بين جنبات النص وذلك قوله : (الخفيف) :

آه من لوعة تمزق أحشا ئي وحبٍّ دُفنت فيه الشبابا[٢]

وفي قصيدته (بيننا " نجد بيتًا شعريًا يحل غموض النص وعنوانه وذلك قوله : (مجزوء الرمل)

آه من نار يقينيى آه من صحراء شكي [٣]

وفي قصيدة (يا حب) نجد مفتاحين هامين :

الأول وسط القصيدة وذلك قوله :

تُحير في أحاجيها وفي ألغازها اللُّبُّ [٤]

والثاني في خاتمة النص وذلك قوله [٥] : (الهزج) :

سئمت الحب إنسيا فمالي في الدُنى حُب

وللفكر الجموح خطا أميزها فأضطرب

وللفكر الجموع أعيـ ـش ما يثنيني النصبُ

وفي قصيدته (عتاب) نجد المفتاح في بيت شعري ، وذلك قوله[٦] : (مجزوء الكامل):

وأضعتُ عمري كله أهفو إليه ولا أراه

---

(١) ديوانه ص ٩١ .

(٢) ديوانه ص ١١٣ .

(٣) ديوانه ص ١٥٢.

(٤) ديوانه ص ١٨٢ .

(٥) ديوانه ١٨٢ .

(٦) ديوانه ص ٢٤٨ .

ويقصد سر الكون ، وحقيقة الوجود ، وفي قصيدته (نشوة) يخاطب الحقيقة الكونية بلغة الغزل العذري في بيت هو الذي فسر غموض الرمز وذلك قوله : (الرمل).

يا حبيبي نحن من يوم خُلقنا .. عاشقان وغرامـي أنـت ياسـرُّ هنـائي وهـواني[١]

فالشاعر لم يعشق إلا البحث عن حقيقة الكون ، وسر الوجود فهو القائل :

أيهـا الشـك يـا ابـن عمـري وليـالي فـي الشـفاء الطويـل
أنـت حببـت لـي المنيـة والقبـر فأمسـت لقياهـا تـأميلي[٢]

وفي قصيدته (دعيني) أوهمنا أن يحاور امرأة ، ولكنَّ باطن النص يؤكد أنه يخاطب الحقيقة الكونية الغائية ، وقد ظهر مفتاح ذلك في شطر البيت الأول ، وذلك قوله :

بشكى ... بإيماني ... وأواه منهمـا[٣] ∴

وكذا في آخر بيتين من النص ينفك الرمز وتتضح القضية الميتافيزيقية وذلك قوله :

(الطويل)

فأصـبحت والحرمـان خمـري وحـانتي أعـيش عليهـا جنـة أو جهنمـا
إذا الحسنُ نـادَى النـاس حـي علـى الهوا فـإني بحرمـاني سـأحيا منهمـا[٤]

وفي قصيدته (حورية المصيف) نجد كشف الرمز الميتافيزيقي في وسط النص ، فقد أوهمنا الشاعر وألبس علينا أن القصيدة في الغزل الحسي بالمرأة .. لكن جوهر النص يؤكد أن الرجل يخاطب الحقيقة الكونية . (مجزوء الرمل) :

أشـهديني.. فأنـا الصـوفي يقنـي فـي الشـهود عـذاب المجهـول أضـناني وأنسـاني وجـودي[٥]

---

(١) ديوانه ص ٢٥١ .
(٢) صالح الشرنوبي النهر الذي أسكر العالم– أ/ محمد الشهاوي ص ٧٧ .
(٣) ديوانه ، ص ٣١٩ .
(٤) السابق ، ص ٣٢١ .
(٥) السابق ص ٣٦١ .

آه .. بـل أوّاه .. مـا أروع مـا كـان خفيـا أنت.. يا ويحك.. لا تبقي من الأستار شيئا
أنزعـي مئـزرك المحسـود.. ألقيـه.. إليـا إنهـا الحريـة الحمـراء لا تغـوي تقيًّـا

فظاهر النص برمته يوهم بالغزل الحسي الكشوف ، وباطن النص عند ربطه بشخصية الشاعر وفكره وواقع تجربته ، يؤكد أنا أمام تجربة رمزية ميتافيزيقية تهدف إلى الوصول للحقيقة بالدخول في عالم الفناء والوجد وحالة اللاوعي الإدراكي المعروفة عند الصوفية .
وفي قصيدته (أحلام غجرية) نجد الغموض يعتري النص برمته والرمز يكاد لا يُبين عن نفسه ، إلا أننا نجد مفتاح الرمز الميتافيزيقي يُفصح عن نفسه في البيت الأول وذلك في قوله : (الخفيف) :

مُـــبهمٌ كالقضـــاء والقـــدر مـا زوتـه الثيـاب عـن بصـري[١]

والرمزية الميتافيزيقي في القصيدة تأتي من جهتين :
– فثياب المرأة ليس المراد إزاحته ليرى ما تحته حقيقة ، ولكنه قصد الغيب الذي حجب الرؤية الحقيقية للوجود بأسراره الغامضة .
– أن من عادة صالح– كما بدا للباحث– في الغزل الحسي الرمزي الميتافيزيقي خطاب (الحقيقة) الغائبة على أنها امرأة لعوب تتقن فتنة الرجال ، بدليل قوله في قصيدته " حورية المصيف " (الرمل) :

اخلعي ثوبك يا عذراء فالنور مُحجَّب إخلعـي الثـوب فتحـت الثـوب نـار تتلهـب[٢]

اخلعي الثوب فقد جنت به الروح الطروب .
وهكذا هي عادة صالح وديدنه في الغزل الحسي المكشوف ، مما يمثل ظاهرة واضحة عنده

---

(١) ديوانه ص ٣٦٣ .
(٢) ديوانه ص ٣٦٠ .

ولازمة أسلوبية خيالية ، ينقل بها الفكرة من الوضوح والظهور إلى الرمزية الميتافيزيقية بالمرأة[١].
وأخيرًا– وإن كانت النماذج كثيرة– نجد من غزله الميتافيزيقي الرمزي بالمرأة في باب الغزل الحسي المكشوف قصيدته (زواج إبليس) نجد فك شفرة الرمز تتأتى في وسط النص .

(الخفيف) :

وذلك قوله :

ثــورة فــي جــوانحي لا تهــدأ وخيــالُ يُفنــي الكــوارث عــدَّا[٢]
أي كــون محجــب الأســرار خلــف عينيــك يــا ابنــة الأقــدار
وإذا بــاليقين يخفــف بالشــك فتهــوى علــى يــدي راحتاهــا

ومن الظواهر التي لاحظ الباحث في هذه التجربة ، ربط صالح وإنما بين (اللون الأحمر بدلالته المرتبط بلون الدم والألم وبين الحقيقة الغائبة ، فكثيرا ما عبر عن الحقيقة الغائبة " باللون الأحمر " وفي ذلك قوله مثالاً لا حصرًا .

ومن ذلك قوله في قصيدته (الجنة الحمراء) (من الطويل) :

ومنها قوله :

هـي الجنـة الحمراء تغريـك نـاظرًا وتجفوك قديمًـا وتسبك جانبـا[٣]
أرقت علـى أقدامها خمـرة الصبا وأفنيــتُ فــي لــذاتها كــل ماليــا

وفي قصيدته " حورية المصيف " نجد قوله :

إنهـا الحريـة الحمراء لا تُغوي تقيـا ومن الفتنـة سحر يبعث الشيخ صبيا[٤]

---

(١) للتفصيل والزيادة . انظر ديوانه ص ١٥٢ ،٣١٠، ٣١١ ، ٢٤٨ ، ٣٠٧ ، ٤٥٤ ، ٤٥٨ .
(٢) ديوانه ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .
(٣) ديوانه ص ٣٠٧ .
(٤) ديوانه ، ص ٣٦١ .

وفي قصيدته (أعلام عجرية) نجد قوله : (الخفيف) :

جسدٌ أحمر السنا ... جذل دموي يثيره الغزل

لافح كالجحيم ... مشتعل يستحي أن تناله القتلُ

فتصلى من حوله المُقل [١]

وفي قصيدته (أحلام الصيف) يوظف السؤال لتوجيهه للمرأة وإنما يخاطب الحقيقة الغائبة في واقع الأمر وباطنه . يقول : (مجزوء الكامل)

قلتُ من أنتِ؟ قالت الجنة الحمراء واسمى إذا أرت ... فلانه[٢]

ودنت من يدي فشب لهيبي وأثارت عواطفي (النعاسانة

ومن خلال (توظيفه) للون الأحمر بدلالته ، إذ هو لون الدم والمعاناة والأسى الفكري القاني الذي يعانيه صالح الشرنوبي ،

فكأني به يُذبح ويسيل دمه من عروقه في حالة بحثه ، عن الحقيقة الكونية وأسرار الوجود الغائبة ، فهذه الحقيقة الغائبة تمثلها صالح في خياله ووجدانه باللون الأحمر، فهي حرية حمراء، وجنة حمراء ، وجسد أحمر... ولذا كررها في تجربة الرمز الميتافيزيقي بالمرأة عن الحقيقة الغائبة .

---

(١) ديوانه ، ص ٣٦٥ .

(٢) ديوانه ، ص ٣٧٤ .

المطلب الثالث

تجربة النزعة الإنسانية والإسقاط النفسي للفكر الميتافيزيقي

إذا كانت النزعة الإنسانية في الشعر تعني (النظرة إلى المجتمع كله نظرة حب ورحمة ، والرغبة في أن يَعُمَّ الخير على الجميع ، وأن تُنشر بين الناس المبادئ السامية المبنية على الحب، وتهذيب نوازع النفس الشريرة "[١] فقد ظهرت هذه النزعة عند الشعراء المعاصرين في مصر لتنشر الفضائل ونبذ الظلم والشرور الإنسانية وذلك كرد فعل على الواقع المضطرب ، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وويلاتها ، والظلم ، والاستعمار، والفساد السياسي ، والإقطاع ، وانتشار الفقر والجهل والمرض داخل المجتمع المصري ، ولقد عاش صالح هذه الفترة بين الحربين العالميتين إذ ولد الشاعر بعد الحرب العالمية الأولى ، وعاش معاناة الحرب العالمية الثانية كاملة ...

ولقد انعكس ذلك في شعر (صالح الشرنوبي) كغيره من شعراء هذه المرحلة أمثال أبو شادي والكثير من جماعة أبولّو ... مما أدى " إلى بروز ظاهرة أسلوبية في شعر صالح الشرنوبي وهي ظاهرة النماذج الإنسانية "[٢] وقد ظهر ذلك في شعره من خلال قصائد من ديوانه، وهي بالترتيب التاريخي لإنتاجها كالتالي :-

١- الفتنة الخرساء : في تعاطفه مع طفلة صغيرة خرساء اسمها نبيلة [٣].

٢- المجنون : وفيها يتعاطف مع مجنون مَرَّ في الطريق سخر منه الناس [٤].

٣- في مأتم الصعيد : يَرثي فيها أهل الصعيد بسبب وباء الملاريا [٥].

٤- من وحي التراب : في رثاء الفنانة (أسمهان) في يوم ١٥ يوليه ١٩٤٤ [١].

---

(١) النزعة الإنسانية في الشعر المهجري ، إيليا أبو ماضي نموذجًا ، د/ نور الدسوقي ، بحث منشور على النت ، ص ٧ بدون .

(٢) قصيدة المواكب لصالح الشرنوبي، قراءة في التوتر والثبات ، د/ علاء جانب، مجلة قطاع كليات اللغة العربية بالقاهرة ، والشُّعب المناظرة لها العدد ١٣، ص٢٣٦٤ .

(٣) ديوانه الجزء الأول ص ٩٦ .

(٤) ديوانه الجزء الأول ١١٢ .

(٥) ديوانه الجزء الأول ص ١٢٤ .

٥- قصيدة " ابن الطريق" : في تعاطفه مع طفل فقير يبيع ورق اليانصيب ليلاً[٢].

٦- قصيدة " غانية " : متعاطفًا مع غانية وإشفاقه عليها من مذلة الفقر [٣].

٧- قصيدة "أختي": في تألمه مع أخته الصغيرة بسبب الإعاقة الذهنية [٤].

٨- قصيدة " الممثل " مصورًا مع الممثل وقدرته على تقمص شخصيات مختلفة[٥].

٩- في " رثاء أحمد شوقي" قالها بمناسبة تجديد ذكر وفاة أحمد شوقي بك [٦].

١٠- في رثاء " ابن عمه " وكان محبًا للشاعر شفيقًا عليه للغاية [٧].

١١- في " رثاء علي محمود طه " وكان صديقًا للشاعر وبينهما صلات وتواصل [٨].

ومقصد البحث هُنا بعد القراءة العميقة لهذه القصائد السابقة وربطها بشخصية صالح، وفكره، وباقي شعره، أن شخصية (صالح) تظهر بوضوح في هذه النصوص رغم كونها قصائد " غيرية " إلا أن الذاتية الشرنوبية تتجلى فيها عن طريق " الإسقاط النفسي" بما تحمله شخصية صالح .

من آراء وفكر ميتافزيقي ، حيث استغل الشاعر بعبقرية المبدع وحدسه، هذه المناسبات " الغيرية " وأسقط فيها نفسه المحبطة وفكره الميتافيزيقي السرمدي الذي لا ينفك عنه في أي قصيدة من شعره .

فإذا كان الإسقاط هو " حيلة دفاعية من الحيل النفسية اللاشعورية ، تمثل عملية هجوم يحمي الفرد فيها نفسه بإلصاق عيوبه ورغباته المحرمة ، أو المستهجنة بالآخرين، أو إسناد مشاعره ، وصفاته إلى شخص آخر وذلك هروبًا من نفسه ؛ وتخفيفًا لما يشعر به من الخجل أو القلق أو

---

(١) ديوانه الجزء الأول ص ١١٢ .

(٢) ديوانه الجزء الثاني ١٦٣ .

(٣) ديوانه الجزء الثاني ١١٧ .

(٤) ديوانه ، الجزء الرابع ٢٦٠ .

(٥) ديوانه الجزء السابع ص ٣٤٩ .

(٦) ديوانه الجزء الثامن ، ص٣٨٤ .

(٧) ديوانه ، الجزء التاسع ٤٤٣ .

(٨) ديوانه ، الجزء العاشر ٤٧٩ ، وانظر مقدمة ديوانه ، ص ٤٩ .

النقص أو الإحساس بالذنب "[١] فصالح الشرنوبي بدافع اللاشعور استغل هذه المناسبات والمواقف " الغيرية " وأوهمنا ظاهريًا بالتعاطف الإنساني معها والشفقة عليها ولكنه في واقع الأمر ، –وعند القراءة العميقة– نجده يُسقط ما بداخله من نفس محبطة ، وفكر ميتافيزيقي عليها .

وهنا يأتي علم النفس ليؤكد " أن الإسقاط إنما ينشأ من صراع داخلي بين الإنسان وما تنطوي عليه نفسه من معتقدات وأفكار، وهو صراع معقد لا شعوري ينم عن اضطراب في الشخصية وتفككها ... والشعور بالعزلة والوحدة "[٢] .

وفيه تُصاب الشخصية بالتردد، والحيرة ، والقلق، والتوتر الانفعالي"، وذلك كله نجده في شخصية صالح وشعره، لأن القضية الفكرية الأولى هي البحث عن حقيقة الوجود ، وسر الغيبيات ، وما وراء الطبيعة ، ولذا كان متناقضًا مع ذاته ، محبًا للوحدة، غريب الأطوار في معاملاته ، يعيش في حياة الطفولة الدائمة ... يبكي كثيرًا مع كل محنة؛ كثير الذهول والشرود... ولذا كثيرًا ما كانوا يضعونه في مستشفى الأمراض العقلية "[٣].

ومع ذلك فالبحث يميل إلى " أن الشاعر لم يكن به جنون بل كان حالة من حالات العبقرية ... والعبقرية آخرها الجنون فقد طَغَى على فكره التوجه الفلسفي فكان يملك عقل فيلسوف وقلب شاعر، شغلته قضية الشك المنهجي فراح يطيل التأمل في هذا الوجود وما فيه من شرور ومتناقضات يحار لها اللبُّ "[٤].

ومن ثم فتجربة النزعات الإنسانية بتعدد قصائدها ما هي إلا تجارب (إسقاط) لما في نفس الشاعر من فكر حائر عن سر الوجود والغيبيات بما يمكن أن يسميها البحث "الإسقاط الاعتراضي " لأن الإسقاط بأصل وضعه هو " أن نحكم على أنفسنا حين نحكم على الغير، وتكون اعترافات أكثر من أي شيء آخر "[٥].

---

(١) أصول علم النفس ، د/ أحمد عزت راجح ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ط٦، القاهرة ١٩٦٨م ، ص٤٢٣، ٤٧٨ بتصرف .

(٢) السابق ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٧.

(٣) مقدمة ديوان صالح الشرنوبي ، د/ عبد الحي دياب ، ص ٢٦ .

(٤) صالح الشرنوبي ، النهر الذي أسكر العالم، أ/ محمد الشهاوي ، ص٦٤، ٦٥ .

(٥) أصول علم النفس ، د/ أحمد عزت (م/ سابق) ص ٤٧٨ .

نعم هي قصائد غيرية تحمل إسقاطات نفسية لا شعورية أسقط فيها الشاعر فكره الميتافيزيقي وحيرته الكونية ، وفكره الفلسفي ، بل إن شخصية المبدع الفلسفية المستترة من وراء النص ، شخصية تعاني مما يُعرف " بالحصر العاطفي " والتي تظهر فيه شخصية المبدع الحقيقية من خلال فلتات اللسان لتترجم لنا عن حالة من العصُابية والفكر الملح على وجدانه ، وبذا يكون الشعر تعويضًا عن رغائب مكفوفة ، تنطوي على العلل التي تنفلت لا شعوريًا في تقنيات أسلوبية باطنة مهما اعتراها التعتيم والتمويه "[١].

وإذا ما حاولنا أن نأخذ نماذج تحليلية تطبيقًا للتنظير السابق .

فنجد مثلاً في قصيدته " الفتنة الخرساء " .

أن مناسبة النص الفعلية هي رثاء طفلة خرساء تعاطفًا معها، ولكنَّ طبيعة الشاعر (الفلسفة التأملية " تطغى عليه لا شعوريًا ، ليواصل بحثه عن (الحقيقة الكونية الغائبة) .

– وقد تبدى للباحث بعد قراءة النص قراءة ثانية غير نمطية ساذجة أن مقصد الشاعر :

أنه (كما أن الخرس عجز لا يبين ولا يفصح عن شيء فكذلك (الحقيقة الكونية) لا تبين عن نفسها ولم تبح لأحد سرها .

وذلك نلمحه من فلتات لسان الشاعر في قوله (الخفيف) :

سـائلوا أي مهجـة لـم تـذب سـو مًـا إليهـا إذا طواهـا المسـاءُ[٢]

فمقصد الشاعر " البعيد " أن المهج تذوب سوقًا لمعرفة حقيقة الكون، خاصة إذا دخل الليل بهدوئه لأنه موطن الفكر والحيرة ، ومحراب الرومانسيين والفلاسفة ، ومحط فكرهم ،

وليس من (المنطقي) في قراءة البيت وشرحه أن نقول أن المهج تذوب شوقًا إلى هذه الطفلة الخرساء فاعتقد أن المعنى غير مقصود هنا بدليل قول الشاعر بعدها . (الخفيف) :

ذكرتني آيـات حسنك لـيلا ي ففاض الأسى، وفـاض البكـاء[٣]

---

(١) سيكولوجية الشعر " العُصاب والصحة النفسية " د/ محمد طه عسر ، كلية الآداب ، جامعة البحرين ، بدون ، ص١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢) ديوانه ص ٩٧ .

(٣) ديوانه ، ص٩٨ .

إن آيات حسن الطفلة الصغيرة ، ذكرته " بليلاه " أي المرأة الرمز وهي " الحقيقة الغائبة " التي طالما بحث عنها ولم يجدها ، ولذا فاض أساه ، وفاض بكاه وهنا يقع الإسقاط النفسي ، أو الاعتراف الذي يتخذ من (الخرس) رمزًا موازيًا لسكون الحقيقة أن تبين عن نفسها ... ولذا طالت حيرته وإحباطه لعدم وصوله لشيء وفي قصيدته "المجنون" نجده يسقط ما في نفسه المضطربة وصراعه الفكري الفلسفي في تعاطفه مع مجنون يسخر منه الناس، وفي الواقع أن يدافع عن نفسه بطريقة لا شعورية خاصة أن "أهله طالما وضعوه في مستشفى المجانين لاضطراب عقله "[١].

وذلك نلمحه من قوله متعاطفًا مع هذا المجنون، وما قصد إلا نفسه. (من الطويل):

ونسميه مجنونًا فنحصب رأسه وفي رأسه ثارت عواطف من عقل[٢]

تنوح فتصليه لظى من نوحها فيشرد ملتاث الخُطا كبني النمل

إن القصيدة على طولها " بوح وجداني " عن نفسه الحائرة ، وإن أوهمنا أن يتعاطف مع (المجنون) العابر للطريق ، وينقل لنا حالة نفسيته الثائرة بفكرها الوجودي المضطرم نارًا في قلب صالح ووجدانه وعقله ، بسبب الفكر الميتافيزيقي الذي لم يهتد معه لجواب ؟!

أليس هو القائل[٣] (مخلع البسيط) :

في رأس عقل فيلسوف

وفي صدري قلب شاعر

أليس هو القائل : (المديد) :

أيها الشك يا ابن عمري وليالي في الشقاء الطويل[٤]

---

(١) مقدمة ديوانه د/ عبد الحي دياب ، ص٢٦ .

(٢) ديوانه ص ١١٢ .

(٣) صالح الشرنوبي ، النهر الذي أسكر العالم ، أ/ محمد الشهاوي ص ٧٥ .

(٤) السابق ، ص ٧٧ .

أليس هو القائل : (المتقارب) :

جنـون الـرؤى وسـعار الألــم رفيقـاي منـذ عرفـت القلـم[١]

وفي قصيدته (من وحي التراب) يتأتى الاعتراف الإسقاطي بنقل بواطن نفسه ، وفكره الميتافيزيقي المحبط ، ويتخذ منهما طريقًا أو مفتتحًا شعريًا لرثاء (أسمهان) .

بدليل :

- إنه ربط الحزن بالشاعرية- فالحزن سمة الشاعر، لأنه مجبرو وليس مخيرًا .
- جعل نفسه شاعر الموتى لأنه معني بالبحث عما وراء الموت والروح ... وذلك في قوله :

(مجزوء الكامل) :

هات الدموع فأنت شاعر مَا للدموع لديك آخِـر[٢].

لم تلهـــم الأبراج قلبك بعض إلـــهـــام المقابـــــــر

ومن المقـــادر أن تعيش وأنت نـهـــــبٌ للمقادر

....

يا شاعر الموتى وعمرك لم ينضره الشبـــــــــــاب

ملء التراب جماجم فادفن حطامك في التراب [٣].

وهو القائل معترفًا ببواطن نفسه من الشك الميتافيزيقي .

الشك دمر أصغريك فهات من وحي اليقـــن[٤].

هذي الحياة طلاسم عزَّت على المتعالمـــــــــين

يا ثقل ما حُملته ..... منها على مر السنيـــن

---

(١) السابق ، ص ٩١ .

(٢) السابق ، ص١٣٠ .

(٣) ديوانه ، ص ١٣٠ .

(٤) السابق ، ص ١٣١ .

لولا بقايا ظلمة في الروح ... من ماء وطيـــــن

لبرئت من قيد الحياة وصرت ذكرى ا لذاكرين

وبذا يثبت تهوج الإسقاط الاعتراضي وينبئ عن نفسه في تجربة النزعات الإنسانية عند الشاعر.

ويتجلى " الإسقاط الاعتراضي " بالفكر الميتافيزيقي في قصيدةٍ فريدة من فرائد الشاعر وهي قصيدة " أُختي " .

فالشاعر أوهمنا أنه يرثي أخته لما كانت تعانيه من (الخلل العقلي) وأنه يشفق عليها من حالة البله والذهول والشرود التي يعتريها ... ولكن البحث يؤكد عند استبطان النص ، أن الشاعر يموه علينا ويراوغ بشاعريته المميزة ، حيث أنه أسقط نفسه في أثناء ذهوله وشروده التي تعتريه وقت الإبداع خاصة ؛ وما قصد إلا نفسه ، فجمع النص بين ديمومة الذهول والشُّرود عند أخته المختلة عقليًا ، وبين صورة نفسه الحائرة والقلقة خاصة في وقت الإبداع .

أليس هو القائل مسقطا ما في نفسه (الكامل)

وأعيش في دنياك يا أختـــــــي [١].

والله فكـــــر حيـــــــــر الفكـــرا

وأذلهـــــــــا بالغيـــب يا أختـــي

وقوله عن نفسه : **أنا في السمـــــاء وأنت في الأرض**

أنا في سماء مـــــن خيالاتـــــــــــــي

أحيا بفكري وانفعـــالاتـــــــي[٢]

وقوله :

" دَيْنُ " الوجود وفاءه العدم ، والماء سر وجوده الضرم [٣].

واللغز حين يبين ينبهم ، وأرى الحياة وبدؤها الأجـــل

---

(١) ديوانه ص ٢٦٠ .

(٢) السابق ، ص٢٦٣ .

(٣) السابق ، ص٢٦٤ .

واليأس أول خلقه الأمـــلُ

والعقل ينقص حين يكتمــل

ومن الخبون العقل يا أخــتي

إنها الذات الشرنوبية بفكرها الميتافيزيقي ، التي تأبى إلا الظهور في تجارب النزعات الإنسانية ، لتؤكد أن الفكرة الأولى التي سيطرت على إبداع " صالح " هي فكرة أسرار الوجود ، والبحث عن الغيبيات .

وفي قصيدة " الشاعر" الذي رثى فيها (أحمد شوقي) بك ، نجده يسقط حالاته الذهنية من الشرود والذهول والمعاناة الفكرية التي يحياها سرمديًا في أثناء النص على امتداده . (الخفيف):

جامع الفكر مستشار الخيالات لذة وانتشـــــاء[1].

يســأل الله وهــو فــي ذاتــه الحيـرى وجـود مشعشـع لألاءُ

شـاعر الكـون لا يقيـده الكـون وإن ضـــمه تـــراب ومـــاء

هو روح الحياة يشدوا إذا غنت ويبكـــي إذا شـــجاها البكـــاءُ

هــو روح مجســد روحــه الله وفكــر عقــل هويّــة إســراءُ

قلــق كالحيــاة تقتلــه الأغــلال وهـــو المقيـــد العـــداءُ

فصالح الشرنوبي وإن رثى (أحمد شوقي بك) بهذه الملامح الفلسفية الواصفة لحالات الذهول والحيرة والقلق الذي يعانيها الشاعر في معاناة الفكرة ، وفي إخراج الإبداع ما قصد الشاعر بها إلا معاناته النفسية، وقلقه وحيرته الذاتية ولكنه أسقطها على غيره ... من باب الحيل الدفاعية النفسية للتخفيف من وطأة مشاعره وصراعه النفسي الحائر والمضطرب دائمًا .

وبذا فإن التجارب الإنسانية عنده أيضًا تميل إلى النزوع الميتافيزيقي الباحث عن حقيقة الوجود، وسر الغيبيات ، وما وراء الطبيعة .

---

(1) ديوانه ص ٣٨١ .

المطلب الرابع

تجربة الشكوى والألم من سطوة الفكر العقلاني الميتافيزيقي على ذهنه

وتأتي تجربة الشكوى والألم في شعر صالح لتنقل صورة نفسه من الداخل ، ولقد كانت هذه التجربة إفرازًا طبيعيًا يتفق مع شخصية الشاعر وشعره وذلك من نواحٍ .

الأولى : بسبب عاطفة الاغتراب ، والإحباط التي هيمنت على الشاعر، فلقد ظلّت الحيرة والشك المنهجي هو الشعور النفسي المسيطر على صالح الشرنوبي طيلة حياته .

الثانية : بسبب الإطار البيئي العام الذي عاشه صالح وعاصره من الوضع الاجتماعي المضطرب، والحرب العالمية الثانية ، والصراعات الحزبية ، والقضايا الوطنية ، والإقطاع ، والفقر مما جعل شعراء هذه الفترة جميعًا في مصر يعيشون في حالة من الغربة الروحية خلال النصف الأول من القرن العشرين "[١].

الثالثة : إضافة إلى دعوة مدرسة أبولّو بقيادة أحمد ذكي أبو شادي (للشعر الوجداني الفياض بالأنين والحزن واليأس) [٢].

وصالح من أواخر شعراء هذه المدرسة زمنًا .

الرابعة : وكذا شيوع ظاهرة الحزن والسأم والعبثية في الشعر المصري آنذاك بسبب التأثر بالظاهرة (الإليوتية) والتي تركت أثارها بقوة بعد قصيدته (الأرض الخراب) مما ضعَّف من ظاهرة الحزن والاغتراب على شعراء مصر بداية القرن العشرين .

الخامسة : الأثر الواضح (للرومانتيكيين الإنجليز) في التوجه الشعري لجماعة (أبولّو) مما عرف عندهم (بالاتجاه الابتداعي العاطفي) .

والذي دعا إليه شيلي ، وكتيس ، ورد رووورث، وقد ترك أثره بقوة في شعر أبي شادي، والهمشري، وصالح جودت ، وإبراهيم ناجي"[٣] وكذا في شعر صالح الذي تأثر بهذا كله .

السادسة : أثر الأدب المهجري في التوجه العاطفي الشاكي الحزين والتأمل الفلسفي ، وخاصة

---

(١) حوار مع قضايا الشعر المعاصر، د/ سعد دعبيس ، دار الفكر العربي ، بدون ص ٧١ .

(٢) السابق ، ص ٧٧ .

(٣) تطور الأدب الحديث في مصر، د/ أحمد هيكل ... ص ٩٩ .

أن قصائدهم انتشرت في مصر من خلال الصحف والمجلات الأدبية المختلفة ، مثل الهلال والمقتطف [١].

وليس أدل على ذلك من تأثر صالح الشرنوبي بـ " إيليا أبو ماضي " فقد نسج على منواله قصيدة طويلة باسم الوجودية ، يتأمل فيها الوجود وما فيه على نحو ما فعل إيليا أبو ماضي في قصيدته " الطلاسم " [٢].

ولقد وازن بين القصيدتين الأستاذ محمد الشهاوي، وقد تفوق صالح الشرنوبي على إيليا في نزعة الشك والحيرة الوجودية [٣].

يقول أ/ الشهادي : ومما توصل إليه بعد إجراء الموازنة قوله (... إلا أن أبا ماضي رجل مبتسم حتى في أحلك الظروف ... (أمّا الشرنوبي) فإنه ناي حزين يفجر أناته قلق لا يقر له قرار، وتوتر شرس أناء الليل وأطراف النهار "[٤].

ومن نماذجه التي تفيض بالشكوى والألم بسبب الحيرة الميتافيزيقي والشك المنهجي :

(الخفيف) :

إن أشـقى الأحيـاء والأمـوات آدمـــي يعـــيش بالفلســفات

يتمنـــى الخلـــود بعـد الممـات وهو حي معذَّب في الحياة[٥]

إن الشاعر ينقل صورة نفسه ، وإن جاءت الفكرة بضمير الغائب .

بل إن شعره لا يعرف إلا الفكر المضني الباحث عن الحقيقة ، ولذا فهو مصدر بؤسه .

وقوله : (الطويل) :

وشـــعري... ومـــن حـــب الحقيقـــة نبعـــهُ ويا ليت أني عشت لا أعرف الشعر

---

(١) السابق ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ بتصرف .

(٢) الشعر المصري بعد شوقي ، د/ محمد مندور، ج٣، (م/ سابق ، ص٣٧) .

(٣) للتفصيل والزيادة : صالح الشرنوبي النهر الذي أسكر العالم ، أ/ محمد الشهاوي (م / سابق ، ص٦٩ ، وما بعدها) .

(٤) السابق نفسه .

(٥) ديوانه ص٣٥٧ .

كـــأني بـــه فـــي ظلمـــة الطـــين ضـــحوة أهـال عليهـا الطـين مـن روحـه قبـرا
بأســـي مـــن الـــدنيا وســـخطي علـــى القضـــا وإيمـــان عقلـــي بـــالأراجيف مضـــطرا

وقوله شاكيًا من شره التوتر العقلي وأثر على نفسه[١] :

ومـــن نكـــد الأوهـــام أن أفلســـف الحيـــ ـــياة كمـــا أهـــوى، ولـــم أفنهـــا خُبـــرا
عييتُ بها فهمًا ... وفي العجز راحة لـم جعـل الـدنيا طريقًـا إلـى الأُخـرى
ولكنـــي والعقـــل نـــوري وظلمتـــي أحـــاول بـــالأحلام أن أكشـــف الســـرا

وهو الشاعر الذي يعاني من الشك ويقلقه أن يكون شاكيًا :

يقول : (الخفيف) :

وشـــكوك تعـــبُّ أيـــام عمـــري وتُرينـــي ضلالتـــي كهدايـــة
وثمر الحياة بين سؤال ، وجواب يزيـــد جهلـــي غوايـــة[٢]

وهو القائل شاكيًا متألمًا : (مخلع البسيط):

الليـــل والســـقم والقيـــود والأمـــل الضـــائع الشـــريد[٣]
وثـــورة الوجـــد فـــي كيـــاني طليقـــة مـــا لـهـــا حـــدود
وحيـرة الفكـر حـين تفشـى سـماءَه السُّـحب والرعـود

– وهذا وقد كانت تجربة الشكوى والألم من الحيرة الفكرية في أسرار الكون ظاهرة قوية جاءت في قصائد كثيرة من ديوان الشاعر، وقد حصرها البحث فوجدها تأتي في خمس وثلاثين قصيدة ، جاءت الشكوى فيها في قصائد برمتها ، أو متخللة في البعض الآخر وهي بترتيب

---

(١) ديوانه ٤٠٧، ٤٠٨ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) السابق ، ص ٤٨٩ .

الديوان على النحو الآتي :

١- " نجوى " . ٢- " من للغريب " ٣- " سهاد " .

٤- " أوهام " . ٥- " نسمات وأعاصير ". ٦- " تحت الأنقاض " .

٧- " الفنان " . ٨- " دنياي " . ٩- خريف .

١٠- فكر . ١١- حرمات . ١٢- سراب .

١٣- بعد حين ١٤- تحت الأنقاض ١٥- ذبول .

١٦- غريب في الربيع ١٧- وحدة . ١٨- قلب .

١٩- شجن ٢٠- أحلام الكوخ ٢١- المواكب .

٢٢- الأصداف . ٢٣- صلاة . ٢٤- الأماني .

٢٥- الشاعر . ٢٦- الغرفة المهجورة . ٢٧- البعث .

٢٨- السراب الخالد ٢٩- يا عيد . ٣٠- خمس وعشرون عاما

٣١- حياتي ٣٢- من دموعي . ٣٣- طال الطريق .

٣٤- حظوظ . ٣٥- دهرية . ٣٦- يا عيد .

على أنه أشد هذه القصائد اتصالاً بظاهرة الألم والشكوى من القلق الوجودي بسبب البحث عن الغيبيات ، وأسرار الكون ، وما وراء الطبيعة فيما بدا للبحث هي قصائد .

" البعث "[١] و" السراب الخالد "[٢] و" خمسة وعشرون عامًا " [٣]، و" حياتي "[٤] "ومن دموعي "[٥].

---

(١) ديوانه ، ص ٤٠٧ .

(٢) ديوانه ، ص ٤١٧ .

(٣) ديوانه ، ص ٤٦١ .

(٤) ديوانه ، ص ٤٦٦ .

(٥) ديوانه ، ص ٤٧٧ .

المطلب الخامس

آراء النقـاد وتأكيد التوجه الميتافيزيقي عند صالح الشرنوبي

آراء النقاد وتأكيد وجهة البحث في تجربة صالح للميتافزيقيا . يقول الشاعر والناقد صالح جودت:

" وحياة صالح الشرنوبي عيشة كلها شعر وخيال وإنسانية وعاطفية وبؤس وذهول ، شاعر موهوب من أبناء الموت ، كالهمشري ، والشابي ، وفوزي المعلوف ، وغيرهم ممن احترفوا حسًا وعاطفة ، ورأوا أن الدنيا لا تتسع لأمانيهم ، وأنهم خلقوا ليعيشوا في عالم النور لا من التراب"(١).

ويقول د/ عبد الحي دياب محقق ديوانه :

" وشعره ينم عن حيرة وقلق وشكوك تعصر قلبه وعقله معًا إذ كانت مشكلته أنه يبحث عن معنى الوجود "(٢).

ويقول الناقد فتحي سعيد " ولم يعرف الشعر العربي في الفترة الأخيرة انتفاضة عملاق تنزف نغمًا حائرًا، وتنهل بكاءًا صافيًا كهذا التي فاضت به حياة صالح الشرنوبي وشعره ، فمن مداد غربته عاش يكتب الكلمة ، ويلطم وجه الحقيقة ليمزق القناع ... ويخمد لهب شقائه بالفلسفات ... أيامه ركامًا من القلق " (٣).

د/ محمود الربيعي :

" شغفي بصالح الشرنوبي والمتعة بشعره لأنني وجدته مزيجًا حلوا وخلاصة رائقة لكنوز شعرية أبدعها أبو ماضي، وناجي ، وعلي محمود طه ، ومحمود حسين إسماعيل ، وشوقي، وأبو العلاء والمتنبي ، وأبو العتاهية ، والحلاج، وابن عربي ، ومولانا جلال الدين الرومي "(٤).

وبذا تتفق آراء الناقد حول ما قصده البحث من التأكيد على أن التجربة الميتافيزيقية الباحثة عن أسرار الكون وغيبياته وهي قضية صالح الشرنوبي الكبرى ، والتي سيطرت على ديوانه وشعره ،

---

(١) بلابل من الشرق ، صالح جودت ، دار المعارف ، ط٢ ، ص١٢٤ .

(٢) مقدمة ديوانه صالح الشرنوبي ، ص١٧ .

(٣) من كتاب " الغرباء " نشر الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦م نقلا عن صالح الشرنوبي النهر الذي أسكر العالم ، أ/ محمد الشهاوي ، ص٤٢٤ .

(٤) مع شعر صالح الشرنوبي مجلة إبداع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإصدار الثالث ، العدد١٨، عام ٢٠١١م .

وشخصيته على طول نتاجه الشعري ، بل والنثري كذلك.

هذا وإذا كان الشاعر هو خير من ينقد شعر غيره فإن رثاء الشعراء لصالح الشرنوبي يدور في معظمه حول تمكنه من تجربة الشعر الميتافيزيقي العقلاني الباحث عن حقيقة الكون وأسراره الغامضة .

فهذا هو الشاعر (فتحي سعيد) يرثي شاعرنا رابطًا بين حزنه وإحباطه وبين فكره الوجودي وتجربة الشك الميتافيزيقي .

يقول الشاعر في رثاء الشرنوبي " (المتقارب) :

له جبهة تتحدى القدر ∴ وتشمخ فوق سماء البشر [١].

وقد رثاه الشاعر الناقد (كمال نشأت ، بقصيدة يجلي فيها مدى عمق وتمكن تجربة الشك الميتافيزيقي من نفس (صالح الشرنوبي) ووجدانه وليس أدل على عنوانها (شهيد) والذي جعله شهيدًا للبحث عن الفكر وما وراء الطبيعة .

يقول (كمال نشأت) – إلى روح الشاعر " صالح الشرنوبي " (السريع) :

يحيا ولا يعرف معنى الحياة مشردًا يقتات بالأمنياتْ
تنهار في كفه أحلامه كطفلة أغفت بكف الممات
وتجهش البلوى بأعماقه وترتمي أشواقه اليابسات
على صخور أنبتت زهرة ألوانها من أدمع الشاكلات
تجهدت فيه المُنى وأنحنت بقلبه فوق المُنَى الذكريات
وأرخت الستر على قصة منسوجة من توبة الخاطئات
فنانها هدم إحساسه ليمنح الأسرار منه غمات[٢]

وبذا يحق للبحث أن يؤكد أن جوهر التجربة التي ملأت على صالح الشرنوبي نفسه ووجدانه

---

(١) صالح الشرنوبي ، النهر الذي أسكر العالم ، الأستاذ محمد الشهاوي ، ص٢٣١ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة ، كمال نشأت ، المجلد الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م ص٣٥٤ ، ٣٥٥ .

الحزين واليأس والمحبط ، هي تجربة البحث عن اليقين وأسرار الكون وغيبياته، مما يعرف بتجربة الشك الميتافيزيقي التي نجدها عند المعري ، وابن الشبل البغدادي ، وفي رحلة (الغزالي) من الشك لليقين والتي ترجمها في قصيدة العينية أو النفس الناطقة ، وكذا عند الكثير من شعراء مدرسة أبولّو ، فيما جاءت تحت عنوان (الشعر الفلسفي) من قصائد شعرية هدفها الجنوح للخيال والتعمق في أسرار الطبيعة بنزعة التأمل الفلسفي والذي ظهرت بواكيره على يد مطران ، ثم برز بقوة على يد شعراء مدرسة أبولو في شكل قصائد كما عند إبراهيم ناجي ، والهمشري ، وأبو شادي ، ولكن (صالح الشرنوبي) كان ديوانه كله وفكره الشعري كله بل حياته ومماته فكرًا عميقًا حول حقيقة الكون وأسرار الطبيعة ، مما يعني أن شاعرنا هو رائد تجربة الشك الميتافيزيقي بحق في شعرنا الحديث بلا منازع . ولذا كانت فكرة البحث ومقصده تسليط الضوء على هذه الظاهرة وإبرازها– ككلّ دراسة أكاديمية موسعة تتوسع في الموضوع وتبرزه للعيان [١].

وقد صدق الناقد الشاعر " فتحي سعيد " في إشارته الخاطفة لجوهر التجربة عند (صالح الشرنوبي) حيث قال :

(فمن مدار غربته بين الناس عاش يكتب الكلمة ، ويلطم بها وجه الحقيقة ، ليمزق القناع ، ويُخمد لهب شقائه بالفلسفات "[٢].

* * *

(١) للتفصيل حول الفكر الميتافيزيقي عند الشاعرين : ديوان ابن الشبل البغدادي ، تحقيق د/ عبد الرازق حويزي ، دار أروقة للدراسات والنشر ، الأردن ، ط الأولى ٢٠١٦م ، ص٢١ .

(٢) صالح الشرنوبي – النهر الذي أسكر العالم – أ/ محمد الشهاوي (م. سابق) ص ٢٢٥ .

الخاتمـة وأهم النتائج

بعد الدراسة والبحث ومحاولة الإلمام بصالح الشرنوبي وشخصية شعره وتوجهه الإبداعي في تجربته الشعرية توصل البحث إلى الآتي بعون الله ومدده .

١) أن (صالح الشرنوبي) شاعر مصري يمثل ظاهرة إبداعية منفردة في التوجه الفلسفي التأملي الخالص ، قلد فيها أبو العلاء المعري وابن الشبل البغدادي، وجبران خليل جبران ، وإيليا أبو ماضي ، وعلي محمود طه ، وعبد الرحمن شكري ، والعقاد في الشعر التأملي والبحث عما وراء الكون من غيبيات .

٢) حياة صالح هي شعره ،وشعره في حياته ، وكانت محور وجوده وحياته وشعره البحث عن سر ما وراء الطبيعة .

٣) كان للمكون النفسي (الوحدة والعزلة، وكثرة التأمل، والإحباطات الحياتية) وللمكون الاجتماعي الثائر والمضطرب ، وللناحية الثقافية في مصر خلال القرن العشرين أثرها الواضح على شخصية (صالح الشرنوبي) فكان الشاعر بحق خير من يمثل عصر الثورات والحروب وعصر الثقافة والفكر وخاصة الفكر الأدبي المتمثل في آراء عبد الرحمن شكري ، والعقاد ، والفكر الأدبي الإنجليزي المؤثر في حياة أدباء مصر في هذه الفترة .

٤) يحتاج (صالح الشرنوبي) إلى دراسة شعره الذاتي الذي أشار إليه البحث إلى دراسة نفسية متأنية تبرز جماليات هذه النصوص لأن كل شعره هتافات نفسٌ حائرة وإفرازات لوجدان يملأه الشك والتأمل الذهني المميت .

٥) يحب دراسة ظاهرة (الحزن والإحباط) في شعر صالح الشرنوبي ، فاذا ما برزت الظاهرة في الشعر المصري الحديث وأصبحت ظاهرة عامة كما أكد د/ عز الدين إسماعيل ، وطبقها على صلاح عبدالصبور[١]، فإن الباحث يؤكد أن ظاهرة الحزن هذه تمثل معلمًا واضحًا من معالم الإبداع الشعري في شعر صالح الشرنوبي ، فلم يعرف شعره إلا قاموس الحزن ومعجم الخوف والإحباط والتشاؤم الذي تفوق فيه على عبد الرحمن شكري كمًا وكيفًا .

---

(١) الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية د/ عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، ط الثالثة ، ص٣٥٠ وما بعدها .

٦) أهمية الموازنة بين الشك الوجودي بين صالح الشرنوبي وسارتر في أدبه الوجودي، وبين أبي العلاء المعري وبين الشرنوبي ، وبين (هيلدرلن) أمير الشعراء الألمان في توجهه الميتافيزيقي الوجودي ، وبين صالح الشرنوبي وعبدالرحمن شكري في الوجهة الفلسفية العقلية . وأعتقد أنه (صالح الشرنوبي) من خلال دراستي له يتفوق على هؤلاء جميعا ، وغيرهم من شعراء الشك الوجودي ؛ لأن قصر كل فكرة وشعره على قضية الشك المنهجي فقط لا غير وكانت شغله الشاغل في ليله ونهاره، وسره وجهره ، وينهي البحث نفسه بسؤال مهم للغاية ؟

لماذا رفض (صالح الشرنوبي) نشر شعره في حياته ، وأوصى بنشره بعد موته ؟!

إنه الخوف من فتح باب الاتهامات العقدية، ورميه بالإلحاد، وكما فعلوا مع صديقه (المعري) والذي كان الشك أحد مقوماته الفكرية طوال حياته [١]، خاصة إذا ما علمنا أن (الشرنوبي ، كان انطوائيًا لا يرحب بالدخول في معارك فكرية مع أحد، محبًا للعزلة وعاش لشعره وللغته فقط .

فهو القائل : (الرمل) :

أنا في شعري، وشعري قصتي ∴ لست في جسمي ... ولا في رسمه [٢].

١٠- أهمية دراسة شعر صالح الشرنوبي تحت مجهر والتأويل والرؤية الرمزية خاصة في تجربة الشعر الميتافيزيقي في التغزل بالمرأة على سبيل الرمز لأنه جاري فيه الصوفية في مجال الغزل العذري ظاهرًا، وإن كان المقصو حالات الصوفية وصفاتهم مع الله – وبذا يحقق لباحث جاد أنه يجري موازنة بين .

ديوان (ذخائر الأعلاق) لابن عربي وبين شعر صالح الشرنوبي في هذا الباب ... فكلا الشاعرين أطلق العبارة وقصد الإشارة ، وأطلقوا ظاهرًا وقصدوا باطنًا ، وبذا فإنه صالح الشرنوبي كان يؤمن من داخله بأن المجاز قنطرة (الحقيقة) .

١١- ترجع عملية (لذة الطرب) عند المتلقي لشعر صالح الشرنوبي في نجاح الشاعر بنقل

---

(١) للتفصيل : جنون الشك عند المعري، من كتاب أبو العلاء المعري أو متاهات القول، ود/ عبدالفتاح كليطو، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط٢، ٢٠٠٠، ص٣٠ ، والشك في شعر أبي العلاء المعري ، د/ سعادة خديجة ، بو شملة فريدة – الجزائر : كلية الآداب واللغات ، ٢٠١٤م .

(٢) ديوانه ، تح د/ عبدالحي دياب ، ص٤٥٣ .

تجربة القلق الوجودي الذي عنده للقارئ أو المتلقي، فالدهشة والحيرة والشك الوجودي (عند صالح الشرنوبي) تنقل بقوة لقارئ شعر الرجل يرويه وتأني.

وبعد

فما قدمته ما هو إلا جُهد المُقل ، ولا أدعي فيه الكمال، وعذري أني حاولت ، وبذلت قصارى جهدي ، فإن أصبت فمن الله تعالى وحده ، وما توفيقي إلا بالله ، وإن قصرت أو أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان ، وحسبي شرف المحاولة في طلب العلم .

والله أسأل العفو عن التقصير والذلل

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[1][البقرة ٢٨٦]

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الباحث

محمد طه صالح خضر

(1) البقرة ، من الآية ٢٨٦ .

فهرس المصادر والمراجع

– أ –

١ أصول علم النفس، د/ أحمد عزت راجع ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ط٦/ القاهرة ، ١٩٦٨م .

٢ الأعمال الشعرية الكاملة، كمال نشأت ، المجلد الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م .

٣ أغنيات وسنات ، للشاعر الإنجليزي جون دون ، ترجمة ، بهاء جاهين، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٢م ، العدد ٣٨٧ .

٤ ألوان ، د/ طه حسين ، دار المعارف ، ط٦ .

٥ بلابل من الشرق ، صالح الشرنوبي جودت ، دار المعارف ، ط٢، بدون .

٦ بين الأدب والوجودية ، بحث في الأدب الوجودي، د/ محمد يحيى فرج، نشر الوسيم للطباعة والنشر، بدون .

– ت –

٧ التصوف في الشعر العربي، نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري، د/ عبدالكريم حسان ، مكتبة الآداب، القاهرة ، بدون .

٨ تطور الأدب الحديث في مصر، د/ أحمد هيكل ، بدون .

– ح –

٩ حوار مع قضايا الشعر المعاصر، د/ سعد دعبيس، دار الفكر العربي ، القاهرة، بدون

١٠ الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، د/ محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة ، القاهرة . بدون .

– د –

١١ دراسات في الشعر والفلسفة ، د/ سلام كاظم الأوسي ، دار نيور، طباعة والنشر، العراق ، ٢٠١٣م ، ط الأولى .

١٢ دراسات في الشعر د/ محمد أحمد العزب ، طبع المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، بدون .

١٣ درويش على تخوم الفلسفة ، أسئلة الفلسفة في شعر محمود درويش، د/ بسام موسى قطوس، عمان ، الأردن ، أرفضاءات ٢٠١٩م .

١٤ ديوان أبي الشبل البغدادي، تحقيق د/ عبد الرازق جويري، دار أروقة للدراسات والنشر، الأردن ، ط الأولى ٢٠١٦م .

١٥ ديوان صالح الشرنوبي ، تحقيق ، د/ عبد الحي دياب ، دار الكاتب العربي، القاهرة، بدون .

– ر –

١٦ رحلتي من الشك إلى اليقين ، د/ مصطفى محمود ، ط دار المعارف، مصر، بدون.

١٧ الرمز الشعري عند السوفية، د/ عاطف جودة نصر، دار الأندلسي، ودار الكندي، بيروت ، الأولى ، ١٩٧٨م .

١٨ الرمزية والقناع في الشعر العربي الحديث، السَّياب، ونازك ، والبياتي ، د/ محمد علي كندي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بنغازي، ليبيا ، ط الأولى ، ٢٠٠٣م .

١٩ رواد الشك المنهجي، د/ حسين صبري، دار الضياء للنشر والتوزيع ، الإمارات ، ط الأولى ٢٠١١م .

– س –

٢٠ سيكلوجية الشعر " الصعاب والصحة النفسية، د/ محمد طه عصر، كلية الآداب، جامعة البحرين ، بدون .

– ش –

٢١ الشعر في إطار العصر الثوري، د/ عز الدين إسماعيل، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨٦م.

٢٢ الشعر المصري بعد شوقي ، الحلقة الثالثة ، روافد أبولو ، د/ محمد مندور ، دار نهضة مصر، الفجالة ، القاهرة ، بدون .

٢٣ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، مصطفى عبد اللطيف السحرتي، مطبوعات مكتبة تهامة ، جدة ، السعودية ، ط٢، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .

٢٤ شعر وفكر ، دراسات في الأدب والفلسفة ، د/ عبد الغفار مكاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م .

– ص –

٢٥ صالح الشرنوبي النهر الذي أسكر العالم، الأستاذ / محمد الشهاوي ، طبع المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٦م .

– ظ –

٢٦ ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، د/ محمد عبدالواحد حجازي .

– ع –

٢٧ على تخوم الفلسفة " أسئلة الشعرية في شعر محمود درويش " د/ بسام موسى قطوس، عمان ، دار فضاءات ، ط الأولى ، ٢٠١٩م .

٢٨ العمدة في محاسن الشعر، وآدابه ، ونقده ، تحقيق الأستاذ ، محمد محي الدين عبدالحميد، ط الخامسة ، دار الجيل، بيروت ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

– ف –

٢٩ فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ، د/ أحمد فؤاد الأهواني ، دار الأوزعي ، بيروت ، ط الأولى ٢٠١٢م .

٣٠ في النقد الأدبي د/ شوقي ضيف ، ط دار المعارف ، ط التاسعة ،

– ق –

٣١ قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، دراسة ، د/ خليل الموسى، منشورات اتحاد الكتاب العربي، سوريا ، الأولى ٢٠٠٠م .

٣٢ قشور ولباب ، د/ زكي نجيب محمود ، مطبعة هنداوي ، ٢٠١٧م .

٣٣ قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، د/ عبد القادر زيدان ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ، ط الأولى ٢٠٠٦م .

– ك –

٣٤ كشاف مجلة أبولو ، إعداد : أمين سليمان سيدو ، طبع نادي جدة الأدبي ، ط٢، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

- م -

٣٥ محاضرات في الصحة النفسية ، د/ محمد عبد الظاهر الطيب ، جامعة طنطا .

٣٦ مدرسة أبولو الشعرية في ضوء النقد الحديث ، د/ محمد سعد فشوان ، دار المعارف ، بدون .

٣٧ مشكلة الحرية ، د/ زكريا إبراهيم ، مكتبة مصر ، ط٢، بدون .

٣٨ مع أبي العلاء المعري في سجنه ، د/ طه حسين، ط مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، ٢٠١٤م .

٣٩ مع الشعراء، د/ زكي نجيب محفوظ ، طبع مؤسسة هنداوي ، الأولى ٢٠٢١م . مع الشعراء المعاصرين د/ متولي محمد البساطي، ط الأولى ، ١٩٩١م .

٤٠ مفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين ، د/ محمد عمارة مكتبة الشروق الدولية ، ط الأولى ، ٢٠٠٩م .

٤١ مكونات الإبداع في الشعر العربي القديم (ابن طباطبا نموذجًا) د/ رانية محمد شريف العرضاوي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ٢٠١١م .

٤٢ من الوجهة النفسية دراسة في الأدب ونقده ، د/ محمد خلف الله أحمد ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٩٨٤م . ط الأولى .

٤٣ الميتافيزيقيا بين الرفض والتأييد ، د/ سامية عبدالرحمن ، مكتبة النهضة المصرية ، ط الأولى ١٩٩٣م .

٤٤ ماركن هيدجر، ما الفلسفة ، د/ محمود رجب السيد ، مراجعة د/ عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية ١٩٦٤م .

- ن -

٤٥ النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال، دار النهضة العربية القاهرة، ط٤ ، ١٩٦٩م .

٤٦ النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ، ستانلي هايمن ، ترجمة د/ إحسان عباس، د/ محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، ط الأولى ١٩٥٨م .

٤٧ وجهة نظر د/ زكي نجيب محمود ، طبع مؤسسة هنداوي ، ط الأولى ٢٠١٩م .

المجلات والدوريات

٤٨ تجليات المرأة والأنوثة في الخطاب الصوفي ، ابن عربي نموذجًا ، بقلم أ/ فؤاد أعراب ، على النت ، بدون .

٤٩ قصيدة المواكب لصالح الشرنوبي " قراءة في التوتر والثبات " ،

أ- علاء جانب ، مجلة قطاع كليات اللغة العربية والشعب المناظرة لها ، العدد (١٣) سنة ٢٠١٨م .

٥٠ مع صالح الشرنوبي (مجلة إبداع) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإصدار الثالث، العدد ١٨، عام ٢٠١١م .

٥١ النزعة الإنسانية في الشعر المهجري ، إيليا أبو ماضي نموذجًا ، د/ نور الدسوقي ، بحث منشور على النت بدون .

الرسائل العلمية

٥٢ التجربة الشعرية في شعر بدوي الجبل ، دكتوراه د/ رابح فروجي ، الجزائر، جامعة فرحات عباس، ٢٠١٢م ، منشورة على الشبكة العنكبوتية (النت) .

٥٣ سؤال الميتافيزيقيا عند جاك دريدا ، دكتوراه ، الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم الفلسفة ، د/ سماح حبطة ٢٠١٩م .

٥٤ الشعور بالإحباط في الشعر العربي المعاصر في مصر، في النصف الثاني من القرن العشرين ، د/ أبو بكر لقوشة، دكتوراه ، كلية اللغة العربية المنصورة ، مخطوطة ، ٢٠١١هـ / ١٤٣٢م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة .	١٠٤
التمهيد .	١٠٨
المبحث الأول : الشاعر والتجربة .	١١٠
المطلب الأول : حول الشاعر (صالح الشرنوبي) تعريف موجز .	١١٠
المطلب الثاني : ماهية التجربة الشعرية .	١١١
المطلب الثالث : روافد التجربة الشعرية عند صالح الشرنوبي.	١١٣
المطلب الرابع : أنماط التجربة الشعرية عند صالح الشرنوبي .	١١٦
المبحث الثاني : تجربة الشك الميتافزيقي عند صالح الشرنوبي .	١١٧
المطلب الأول : تجربة الحيرة الوجودية بين الشك واليقين .	١٢٤
المطلب الثاني: تجربة الشك الميتافزيقي الرمزي أو الغزل الرمزي بالمرأة .	١٤٢
المطلب الثالث : تجربة النزعة الإنسانية والإسقاط النفسي للفكر الميتافزيقي .	١٥٧
المطلب الرابع: تجربة الشكوى والألم من سطوة الفكر العقلاني الميتافزيقي على ذهن الشاعر .	١٦٥
المطلب الخامس : آراء النقاد وتأكيد التوجه الميتافزيقي عند صالح الشرنوبي .	١٦٩
الخاتمة وأهم النتائج .	١٧٢
فهرس المصادر والمراجع .	١٧٥
فهرس الموضوعات .	١٨٠

* * *